# الشيخ
# بلقاسم بن أزواق

إمام وخطيب مسجد الشهداء ( ربوة مدام لافريك ) - أعالي بولوغين وباب الوادي
من سنة ١٩٦٣م إلى وفاته سنة ١٩٩٣م

## سِيرَتُهُ وَمَنهَجُهُ الإصلاحيّ

وَيليه :

## الزَّردَة رَأسُ كُلِّ شَرٍّ فاجتَنِبُوهَا أيُّهَا المُسلِمُونَ

للشيخ بلقاسم بن ازواق


أعدّه
أبو محمد سمير سمراد



دار الفضيلة

# الشيخ

# بلقاسم بن أزواق

إمام وخطيب مسجد الشهداء (ربوة مدام لافزيك) - أعالي بولوغين وباب الوادي

من سنة ١٩٦٣م إلى وفاته سنة ١٩٩٣م

## سيرته ومنهجه الإصلاحي

ويليه:

## الزردة رأس كل شر فاجتنبوها أيها المسلمون

للشيخ بلقاسم بن أزواق


أعده

أبو محمد سمير سمراد



دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، **أمَّا بعد:**

رغبةً منِّي في إحياء مآثر المصلحين من علماء الجزائر؛ ما كان منها دفاعًا عن عقيدة التَّوحيد، ومحاربةً للشِّرك ومظاهره، وقطعًا للابتداع ودابره، عملتُ على إخراجِ هذا الأثر من آثارهم الثَّمينة، ونشرِه بين العموم، رجاءَ أن يعمَّ به النَّفع ويحصل به الغرض المطلوب، وهو عودةُ النَّاس إلى عقائد التَّوحيد الحقَّة، وابتعادُهم عن الشِّرك، بشتَّى صوره، قولًا كان أو عملًا أو اعتقادًا.

وهذا الَّذي بين يديك، هو «بيانٌ» من «الكاتب العام» لـ«لجنة الدِّعاية» من لجان «المجلس الإداري» لـ«جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين»؛ حاملةِ لواء الدَّعوة إلى التَّوحيد الخالص، وعبادة الله وحده، والتَّحذير من الإشراك به شيئًا، في بلدنا الحبيب «الجزائر»، وقد نُشر هذا «البيان»، قبل نحو سبعين سنةً، في جريدة «البصائر» لسان حال جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، ولمَّا كانت

الحاجة ملحَّةً إلى بعث مثل هذه الأبحاث اليوم، لبروز قرن البدع من جديد، ولغفلة أكثر النَّاس عن حقائق الدِّين الحنيف، رأيتُ إعادة نشره، مع مزيدٍ من العناية به.

✍ **عملي في إخراج هذا الأثر:**

١ ـ استخرجت نص «البيان» من جريدة «البصائر»، وقمت بقراءته، وتصحيح أغلاطه المطبعيَّة.

٢ ـ قمت بتخريج ما ورد فيه من أحاديث وآثار، وهي قليلة.

٣ ـ كما وثَّقت نقوله من كتب أهل العلم، وقابلت بينها وبين أصولها المطبوعة، مشيرًا إلى الجزء ورقم الصَّفحة، وإن كان الشَّيخ قد فعل ذلك غالبًا، إلَّا أنِّي لم أستطع الوقوف على الطَّبعات القديمة الَّتي كان ينقل منها، إذ لم يتيسَّر لي ذلك، ـ كما دعتني هذه المقابلة للإشارة إلى الفوارق والاختلافات، فأثبت أهمَّها ـ وأبرز ما ظهر ذلك في النُّقول الطَّويلة عن رسالة الصَّنعاني «تطهير الاعتقاد».

وقد تيسَّر لي نسخة مطبوعة للرِّسالة، ولعلَّها أوَّل طبعة لها، طبعت سنة: (١٣٤٨هـ) في مطبعة «المنار» [وقد نشرها الشَّيخ رشيد رضا أوَّلًا على جزءين في مجلَّته الشَّهيرة «المنار» (المجلَّد ٢٣، الجزء الرَّابع، والجزء الخامس) (شعبان ورمضان ـ سنة ١٣٤٠هـ)]، ويغلب على الظَّنِّ، أنَّ صاحب «البيان» اعتمد هذه الطَّبعة.

٤ ـ علَّقت على بعض المواضع منه؛ تساعد على فهم مقصود الشَّيخ

ومراده، كما تفصح عن إشاراته.

٥ ـ ورغبةً في أن يكون القارئ محيطًا بظروف نشر هذا «البيان»، وقد أشار إليها «محرِّره» في الدِّيباجة، رأيت من المهمِّ والأَفْيَد ـ إن شاء الله ـ أن أعرض لتلك الأحداث المشارِ إليها بشيء من البَسْطِ والبيان، فجاءت كالتَّمهيد بين يديه، [كما جاءت مع «البيان» حلقة متَّصلة من حلقات تاريخ الإصلاح الدِّيني السَّلفي في الجزائر، وصورة مشعَّة من صُوَرِ جهاد العلماء لتحرير العقول والأفكار من الخرافات، وتطهير العقائد والأعمال من الشِّركيَّات]

٦ ـ ترجمتُ للشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» محرِّر هذا «البيان» بترجمة وافية ـ إن شاء الله ـ، ولم أشأ أن أجعلها في نقط موجزة، وذلك لأنَّه لا يكاد يُعرف عند القرَّاء، ولا ذكرَ له عند الخاصَّة بلْهَ العامَّة، **ولم يُتَرْجِمْ له أحدٌ**، فكانت هذه «التَّرجمة» التَّي بين يديك، هي **أوَّل ترجمة للشَّيخ** ـ فيما أحسبُ ـ، وأوَّل التفاتة إليه، لإبراز فضله ومكانته، وإعطاء صورة عن جهاده وكفاحه، [وقد استللْتها من كتابة ضافية عنه ـ حرَّرْتُها بقلمي، ولم أعتمد فيها على غيري، عسى أن ترى طريقها للنَّشر].

* وقد جاء العملان الأخيران: (٥ ـ ٦) على الشَّكل الآتي (أو العناوين الآتية):

ـ ترجمة الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق».

ـ الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» ومنهجه الإصلاحي.

ـ بين يدي: «بيان» الكاتب العام للجنة الدِّعاية: أحداث وأصداء «زردة

ابن جلُّول».

ـ الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق»: الكاتب العام للجنة الدِّعاية.

ـ «بيان الشَّيخ بلقاسم بن ارواق»: أسبابه، أغراضه، وميزاته.

هذا، وأسأل الله تعالى، أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون فيه ما يبصِّر قارئه، وينير فكره، ويقوِّي حجَّته، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ونبيِّه محمَّد وعلى آله وصحبه.

وكتبه

**أبو محمَّد سمير سمراد**

غفر الله ذنبه وستر عيبه، وألهمه رشده وصوابه

# ترجمة
# الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق»

لَمَّا قفل الشَّيخ ابن باديس من الحجاز، وحلَّ بقسنطينة عام ١٣٣٢هـ، عزم على القيام بالتَّدريس، وأدخل إصلاحات في برامج دروسه، وأحدث تغييرات في أساليب التَّعليم، ومضى على ما رسمه من خطَّة، لا يلتفت إلى المعارضين من أهل الجمود والرُّكود، وكانت غايته تكوين نَشْءٍ علميٍّ، فتفرَّغ لهذا العمل العظيم، لم يخلط به غيره من عمل آخر، وقد قدَّر لهذا عشر سنوات كوامل، «قضاها الإمام ابن باديس مدرِّسًا في قسنطينة من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٢٤؛ يكوِّن الكتائب الأولى من الدُّعاة للإصلاح، والفصائل الأولى من العاملين في شتى ميادين هذا الإصلاح...»[(١)]، وعندما ظهرت نتيجتها، وحان وقت ما كان يؤسِّس له الرِّجال، قام بإعلان «الدَّعوة العامَّة إلى الإسلام الخالص، والعلم الصَّحيح، إلى الكتاب والسُّنَّة وهدي صالح سلف الأمَّة، وطرح البدع والضَّلالات ومفاسد العادات»[(٢)]، وبذلك برزت الحركة الإصلاحيَّة في الجزائر، ونشأت معها وبها حركة قلميَّة، بتأسيس جريدة

(١) «دعائم النَّهضة الوطنيَّة الجزائريَّة..» للطَّاهر فضلاء (ص٩٤).

(٢) انظر: «آثار ابن باديس» (٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

«المنتقد»؛ «تحمل فكرة الإصلاح الدِّيني»، وتضع الحجر الأساس للنَّهضة، وتلفَّت الجزائريُّون، وتفتَّحت أعينهم وآذانهم؛ لإصلاح أوضاعهم، «ثمَّ ما كاد يبرز العدد الثَّاني منها حتَّى ظهر في الجزائر كتَّاب لم يَجِدُوا مجالًا لأقلامهم قبلها، فانضمُّوا إلى تحريرها، وأوجدوا بهيئتهم أوَّل حزب المصلحين»[1]، ثمَّ جاء قرار تعطيلها، لتخلفها «الشِّهاب» ـ «الجريدة الأسبوعيَّة»، «فالمجلة الشَّهريَّة» ـ وتستلم قيادة الحركة.

وفي كلِّ هذا لم ينقطع الإمام ابن باديس عن التَّعليم والتَّدريس، وتكوين الرِّجال، وتربية الأجيال، بل ازداد عدد الوافدين على دروسه، وكثر تلاميذه، ولم يزل ذلك في استمرار ونماء.

لقد أحدث الأستاذ الشَّيخ عبد الحميد بن باديس «ثورة تعليميَّة» بدروسه الحيَّة والتَّربية الصَّحيحة الَّتي كان يأخذ بها تلاميذه، والتَّعاليم الحقَّة الَّتي كان يبثُّها في نفوسهم الطَّاهرة النَّقيَّة، والإعداد البعيد المدى الَّذي كان يغذِّي به أرواحهم الوثَّابة الفتيَّة، [وقد ظهرت نتائج هذا التَّعليم جليَّة]»[2].

«استمرَّ [الإمام ابن باديس] في ميدان [التَّعليم] يقوم بمجهوداته العظمى، [وتأسَّست «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين»، في سنة ١٩٣١م]، وتضاعف عدد الطَّلبة، [وأصبحوا يعدُّون بالمئات، ويقوم على التَّدريس معه نجباء من المتخرِّجين من مدرسته]؛ علَّموا معه، وتحمَّلوا مسؤوليَّة تربية طلَّابه

(١) انظر: «آثار ابن باديس» (٥/ ٥٦٦).

(٢) «آثار الإبراهيمي» (١/ ١٨١).

متطوِّعين سالكين منهاجه وطريقه...»[1].

ومن جنود الإصلاح وقادته، في ذلك العهد...

ومن تلاميذ الإمام ابن باديس الَّذين تخرَّجوا على يديه.

من هؤلاء الَّذين كان يعدُّهم إعدادًا؛ لتَسَلُّم القيادة، وحمل الأمانة، وإتمام مسيرة النَّهضة، والاضطلاع بالجهاد العلميِّ والتَّربويِّ، وتحمُّل أعبائه وتبعاته...

من هؤلاء الَّذين غرس فيهم روح النِّضال والتَّضحية والبذل في سبيل الدِّفاع عن الإسلام ولغة الإسلام في هذا الوطن: «بلقاسم بن ارواق».

### مولده:

ولد «بلقاسم بن ارواق» في سنة (١٩٠٩م) تقريبًا ـ على أنَّه في ذاك الزَّمن، لم تكن تسجَّل الولادات في الحالات المدنيَّة، فلمَّا بدأ تسجيلها وضبطها، كان يسلك فيها التَّقدير والتَّقريب ـ.

وكان مولده في «طولقة»[2]

### تعليمه الأوَّل:

زاول دراسته الأوَّليَّة في «سيدي عقبة»[3]، وأتمَّ حفظ القرآن الكريم.

---

(١) «صراع بين السُّنَّة والبدعة..» لأحمد حمَّاني (٢/ ٢٦٢ ـ مع زيادة وتصرُّف).

(٢) بلدة «طولقة» بجنوب عمالة قسنطينة من القطر الجزائري ـ على العهد الاستعماري ـ، وتبعد عن مدينة بسكرة بنحو (٣٥ كلم).

(٣) بلدة سمِّيت باسم الفاتح العظيم، والمجاهد الكبير، عقبة بن نافع الفهري، قائد الفتح الإسلامي لهذا القطر، وقد استشهد ـ إن شاء الله ـ قريبًا منها رحمةُ الله عليه ورضوانه، وتبعد البلدة المذكورة عن مدينة بسكرة بنحو (١٨ كلم).

ثمَّ سافر والده إلى مدينة «عنَّابة»، وصحب أهله جميعًا، ومكثوا هناك زمانًا، إلى أن توفِّي الوالد، ولحقت به والدتهم، وتركا أولادًا صغارًا: «بلقاسم»، وأختين له صغيرتين.

فرجعوا جميعًا إلى «طولقة»، في كفالة عمِّهم، وبقوا عنده، إلى أن شبَّ «بلقاسم»، واشتدَّ عوده، وظهرت عليه مخايل الفِطْنَة والنَّجابة والذَّكاء، وبرزت فيه ملامح الرُّجولة، وهو «ابن الصَّحراء»، قد تركت فيه آثارها.

إلى هنا: رواية الابن الأصغر للشَّيخ بلقاسم، أمَّا على رواية الأستاذ «صلاح مؤيد العقبي»[1]؛ وهو صديقٌ حميم للشَّيخ بلقاسم، دامت صحبتهما إلى وفاته، فإنَّه يقول:

حفظ «بلقاسم» القرآن الكريم في الزَّاوية العثمانيَّة بـ«طولقة»، وتلقَّى المبادئ الأوَّليَّة في النَّحو والفقه في هذه الزَّاوية، على يد شيوخها، ويقول:

كان الشَّيخ أحمد بن الدَّرَّاجي؛ من كبار الشُّيوخ في الزَّاوية العثمانيَّة، لذلك العهد الَّذي درس فيه «بلقاسم بن ارواق»، وهي الَّتي تخرَّج منها كذلك: الشُّيوخ: محمَّد خير الدِّين، وعبد اللَّطيف القنطري، وأحمد سحنون.

### ✍ التَّخلُّص من الطُّرقيَّة:

يحدثِّنا «بلقاسم» عن نفسه، فيقول: «لقد كنت طُرُقِيًّا في جملة أسرتي الَّتي ورثت ذلك خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ»، لكن هذا الفتى، لم يكن عاديًّا، ولم يشبه سائر

---

(١) المقابلة الأولى معه في منزله بحي «السَّيِّدة الإفريقية» (مدام لافريك)، بعد عصر الخميس ٥ رجب ١٤٢٨هـ.

أضرابه وأقرانه، مستسلمًا لكلِّ ما اعتاده وأَلِفَهُ، لا يستخدم عقله، ولا يُعْمل فكره.. يتلقَّى ولا يبحث.. يعتقد ولا يفكِّر.. طاقات معطَّلة، ومواهب مدفونة، لم يكن هذا الطِّفل على صغر سنِّه وحداثته كهؤلاء، بل كان لا يفتر عن البحث والتَّفكير، والتَّفتيش عن الحقيقة، إلى أن بلَّغه الله إيَّاها، واهتدى إليها بنفسه، فاستطاع أن يتخلَّص من الطُّرقيَّة ومن تأثيرها عليه، تخلَّص من خرافة الشَّيخ والمُرِيدِ، ومصيدة الوِرْدِ والوظيفة، وبشائر مفتريات، ووعود مكذوبات، لمن أخلص وتفانى في الخدمة، فتنقَّى قلبه، وتطهَّر فؤاده من هذه الخرافات، وسلم من سيطرتها، وانفكَّ عن تأثيرها، عرف ذلك بفطرته، وأدركه من تلقاء نفسه، وهو يُعمل التَّفكير.

يقول: «**وكنت في كلِّ أطواري باحثًا عن الحقيقة ومتشوِّفًا إليها، حتَّى إذا عرفتها تمسَّكت بأذيالها عاضًّا عليها بالنَّواجذ، وقد عافاني الله منها فرفضتها وأنا طفل لم أبلغ بعد الخامسة عشر من العمر، فما ندمت يومًا، على ذلك الرَّفض. وما ينبغي لي ذلك.، وما استحييت من خضوعي للحقِّ وانتهاجي منهجه...**».

هذا هو «بلقاسم» في هذه السِّنِّ المبكِّرة؛ وهو لَمَّا يبلغ الخامسة عشر من العمر، في حين أنَّ الكثيرين قد شبُّوا على ذلك، وشابوا عليه، ولم يدركوا الحقَّ، ولم يكتشفوا الحقيقة إلَّا في أخريات أعمارهم، ومنهم من أدركه في كهولته، ومنهم في شبابه، وقلَّ من يدرك ذلك في زمن الحداثة والطُّفولة، ذلك فضل الله على «بلقاسم»، أن فتح عقله صغيرًا، وأنضج له فكرَه مبكِّرًا.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى عاملٍ آخر مهمٍّ في اهتداء «بلقاسم» إلى الحقِّ

ـ زيادة على استعداده الفطري ـ وهو الدَّعوة الإصلاحيَّة الَّتي ظهرت أقوى ما تكون في منطقة «بسكرة» على يد العلَّامة الخطير، وداعية الإصلاح الدِّيني الكبير، الزَّعيم الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي، ومن انضمَّ إليه من إخوانه العلماء والأدباء، والشَّباب النَّاهض، فإنَّ القطر الجزائري لذلك العهد لم يعرف ثورة جارفة على البدع كما عرفتها المنطقة، حصل بها قَلْبٌ لكلِّ المفاهيم الخاطئة في الأمَّة، وزُلزل المبتدعون والضَّالُّون زِلْزَالًا شديدًا، كان فيها الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي: «العالم الأوَّل والمصلح الدَّاعية الأوَّل»، وأصبح «فلول «الطُّرقيَّة» الضَّالَّة، ومبتدعوها من «المشائخ» و«المقاديم» ومعهم الأغرار من «المريدين» و«الإخوان».. يتوارون عن الأنظار حتَّى لا يتعرَّضوا لهذا السَّيل الجارف..»[1].

✍ **زيارة الوفد العلمي القسنطيني إلى «طولقة»:**

يقول مكاتِب جريدة «صدى الصَّحراء»: «يوم الخميس ١١ فيفري [١٩٢٦م]»:

قدم وفد علميٌّ مِنْ مدينة قسنطينة إلى حاضرة بسكرة... يتألَّف هذا الوفد من علَّامة القطر الأستاذ الجليل الشَّيخ عبد الحميد بن باديس»، والشَّيخ مبارك الميلي، ...» وكان في لقائهم العلاَّمة العُقْبِي وجماعة من العلماء والأدباء، وبعد زيارة إلى بسكرة، سيدي عقبة.. «ويوم الأحد سافر هذا الوفد إلى طولقة...»، وفيها التقوا بـ«عبد المجيد بن إبراهيم أحد أفراد الزَّاوية الطُّولقيَّة واستدعانا ـ

(١) انظر: الطَّاهر فضلاء: «الشَّيخ الطَّيِّب العقبي رائدًا لحركة الإصلاح الدِّيني في الجزائر» (ص٥٢ ـ ٥٣)، وانظر: عن جراءة العقبي «رسالة الشِّرك» لمبارك الميلي (ص٢٨٤).

يقول المكاتِب ـ إلى الزَّاوية لشرب الشَّاي فأجبنا دعوته، ولمَّا وصلنا إلى الزَّاوية وجدنا في انتظارنا حضرة الأستاذ الشَّيخ الحاج رئيس الزَّاوية فأطلعنا على بيت بها خزائن كبيرة مشحونة بالكتب... ثمَّ انتقل بنا إلى محلِّ الضِّيافة الخاص فتناولنا شرب الشَّاي، وفي أثناء ذلك تجاذب الوفد أطراف الكلام على المصلحين ما يلاقونه من المصادمات من حزب الجامدين الَّذين لا يريدون بهذه الأمَّة خيرًا، وإذْ ذاك تكلَّم المصلح الكبير الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي وبيَّن للحاضرين مراميه السَّامية وقصده الوحيد ـ **ألَا وهو إحياء السُّنَّة وقتل البدعة ونشر الفضيلة وقطع الرَّذيلة** ـ، وبرَّأ نفسه ممَّا يشاع عنه بأنَّه ينفي «الولاية» و«الكرامة» و«الزِّيارة» وتكلَّم في الموضوع كلامًا شافيًا وما خرج الوفد من هناك حتَّى حصل التَّفاهم بين الجميع غير أنَّ إخواننا الطُّرقيِّين اعترفوا بأنَّ هناك بدعًا وخرافات في الزَّوايا تخالف مبادئ الدِّين على خطٍّ مستقيم، لكن يجب تغييرها تدريجيًّا، ثمَّ انفض المجلس وعلائم السُّرور بادية على وجوه الجميع...»[1].

والمتتبِّع لأطوار الإصلاح وتاريخه، يعلم أنَّ الطُّرقيِّين نكثوا، وقد سوَّدت صحائف جريدة «النَّجاح» ـ لصاحبها الشَّيخ «عثماني» عبد الحفيظ بن الهاشمي من الأسرة العثمانيَّة والزَّاوية الطُّولقيَّة ـ، الَّتي آوت الطُّرقيِّين ونصرتهم، زاعمةً أنَّها تدافع عن أولياء الله الصَّالحين، وتردُّ تهجُّمات المصلحين عليهم، وكم اعترف من هؤلاء، ثمَّ لم يلبثوا أن تمسَّكوا بما ادَّعوا خطأهم فيه بالأمس.

ولعلَّ زيارة هذا الوفد العلمي برئاسة ابن باديس، كان لها أثر في نفس

(١) جريدة «صدى الصحراء»، العدد (١١) ـ ١٦ شعبان ١٣٤٤هـ/ ١ مارس ١٩٢٦م (ص٢).

«بلقاسم بن ارواق»، ولعلَّها قد أنارت له دربَه، الَّذي أسْفر ـ فيما بعد ـ عن التحاقه بالشَّيخ ابن باديس.

أرجع لأقول: ظهرت يقظةٌ عامَّة في أوساط النَّاس، وانتشر الوعيُ، وانكشفت الكثيرُ من الحقائق، واستبان للنَّاس الحقُّ مِنَ الباطل، ومن ذلك قرية «بلقاسم بن ارواق»، أو القرية الَّتي يرجع إليها أصله، وهي: «**سيدي ارواق**»، ولقد كان «بلقاسم» ـ وهو تلميذٌ في قسنطينة ـ يُذكر في «الشِّهاب» ويَنسبه أستاذه الشَّيخ ابن باديس، بقوله: «**بلقاسم بن سيدي ارواق**»، وكان يُمضي مقالاته الأولى ـ الَّتي نشرها ـ كذلك، وإنَّ لفظة «سيدي» كثيرًا ما تُطلق على من كان له نسبة إلى الشَّرف، أو نسب في العلم أو الجاه، و«سيدي ارواق» الَّذي سمِّيت باسمه القرية، القريبة من «طولقة»[1]، رجل قد اشتهر في المنطقة بالولاية والصَّلاح، والنَّسب الشَّريف، حمل اسمه وانتسب إليه أولاده وأحفاده، وهو أبٌ أعلى «جدٌّ» لـ«بلقاسم»[2]، ولقد كان ذاك الزَّمان، يسوده التَّفاخر بالأجداد، والنَّسب الشَّريف، وإنَّ الطُّرقيَّة ما تمكَّنت وتغلغلت وأحيطت بالقداسة إلَّا بهذا: «خدمة الشَّيخ... وخدمة أولاد الشَّيخ...»، تنتقل «الولاية والصَّلاح»

---

(١) هي الآن «حي» من «أحياء» بلدة «طولقة».

(٢) سألت بعضَ أهل «طولقة» عن هذه القرية، فأجابني بما أشرت إليه، وهو أنَّ «سيدي ارواق»: قبر وضريح في رأس الجبل، ويقول أنَّه يروى أنَّ هذا الرَّجل المقبور ـ جدّ من انتسب إليه فيما بعد ـ أوصى أهله بدفنه في قمَّة الجبل، وقد أشار إليه، ويروون أنَّه قال لهم: سيدور الزَّمان، ويُعمر المكان؛ وأُحاط بالأهالي والسُّكَّان، وهي الآن عامرة، يحوط «جبل سيدي ارواق» مساكن كثيرة، من أحفاد هذا الرَّجل وغيرهم، وهو لا يبعد كثيرًا عن بلدة «طولقة».

عندهم بالتَّوارث، ثمَّ ما يلبث هذا «الشَّيخ» المعظَّم، الَّذي كان فتنة للنَّاس في حياته، يعتقدون فيه اعتقادًا فاسدًا، حتَّى يكون فتنةً بعد مماته، فيحملهم الغلوُّ فيه، على أن يدفنوه [وقد يكون ذلك بوصيَّةٍ منه] في مسجدهم، أو يدفنوه في «زاويتهم»، أو يبنون على قبره «قبَّة»، أو «مقامًا» مشهودًا، ويجعلون له موسمًا وعيدًا، يتوافدون على زيارته؛ يدَّعون أنَّها من حقوقه عليهم، كما كانوا يزورونه في حياته؛ يتبرَّكون بذاته ـ حيًّا وميِّتا ـ وهو تبرُّك بدعيٌّ شركيٌّ ـ، ثمَّ يتحوَّل قبرُه إلى وَثَنٍ يُعْبَدُ، يدعونه في الملمَّات، ويستغيثون به لكشف الكربات، ويستشفون بتربته، ويتمرَّغون على أعتابه، ويقبلون كسوته، ويوقدون له الشُّموع، ويبخِّرون الأبخرة، ويطرحون عنده الصَّدقات والتَّبرُّعات «الزِّيارات»، وَيَسُوقُونَ إليه الأنعام، ويذبحون له النَّحائر، وتُضرب الطُّبول، وترتفع المزامير، وتعلو الأصوات بتحريف ذكر الله... إلى ألوانٍ منَ الشِّرك الأكبر الصَّريح، والبدع المنكرات، ومنها «الحضرات»، والطَّواف لجمع الزِّيارات، باسم الشَّيخ، ولقد كان «بلقاسم بن ارواق» واحدًا من أبناء الزَّوايا، الَّتي غشيتها الطُّرقيَّة، واصطبغت بألوانها، لقد كان شاهدًا على ما كان يفعله الجاهلون عند قبور من يعتقدون فيهم «الولاية»، ومن ضلالهم أنَّهم كانوا يذبحون لقبورهم، يذبحون لهم قصدًا (نيَّةً)، ويهلُّون (يرفعون أصواتهم) بأسمائهم، أي يذكرون اسم صاحب القبر على الذَّبيحة، بل بلغ الشِّرك والضَّلال ببعض منهم أنَّه كان يهلُّ للأشجار والأحجار الَّتي يعظِّمونها ويعبدونها، ويرجون نفعها وبركتها، قال «بلقاسم» ـ وهو يردُّ زعم من يحامي

عن أفعال هؤلاء، ويدافع عن شركهم، بأنَّهم لا يذكرون على ذبائحهم إلَّا اسم الله!!!...ـ : «**فقد شاهدت بنفسي. وأنا من أبناء الزَّوايا. كثيرًا من هؤلاء يهلُّون بذبائحهم لأصحاب القبور وحتَّى للشَّجر والحجر**»، ذلك شيء من آثار الطُّرقيَّة السَّيِّئة في إفساد معتقدات النَّاس.

ولقد كانت أسرة «بلقاسم» «أولاد وأحفاد «سيدي ارواق»»، أسرة طرقيَّة، كغالبيَّة الأسر في ذاك الزَّمان؛ إذ يقول كما قدَّمنا قريبًا: «لقد كنت طرقيًّا في جملة **أسرتي الَّتي ورثت ذلك خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ**»، «ذلك أنَّ التَّبعيَّة لإحدى الطُّرق الصُّوفيَّة في الجزائر إبان العهد الاستعماري كانت ظاهرة شائعة، بل و«موضة» مرغوبة من قبل كافَّة الجزائريِّين تقريبًا، فلقد كان المتوارث عن شيوخ الطُّرق أنَّه: من لا شيخ له فالشَّيطان شيخه»[1]، وكانوا في ذاك الزَّمان كأنَّهم لا يعرفون الإسلام إلَّا هذه الطُّرقيَّة.

وأرجع إلى ما قصدت إليه؛ وهو أنَّ الدَّعوة الإصلاحيَّة والإفاقة الشَّعبيَّة بضلال هذه الأعمال، وبراءة الدِّين منها، قد وصلت إلى قرية «بلقاسم»؛ قرية «سيدي ارواق»، وها أَنَذَا أسوق نقلًا يحكي الواقع، كتبه أحد الغيورين ومحبِّي الإصلاح، ونشرته «الشِّهاب» «مرآة الإصلاح والمصلحين»[2] تحت عنوان: «حكاية وكتاب»، قال كاتبه: «في هاته الآونة الأخيرة أقيمت حفلة همجيَّة وفعلة خسيسة اجتمعت في مواكبها أفراد العرب «البدويَّة» من القبيلة المشهورة

---

(١) الصَّفصاف: «ابن باديس الرَّمز..» (ص١٨).

(٢) في [العدد (١٢٠)، ٨ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ/ ٣ نفامبر ١٩٢٧م (ص١٤)].

«الْعمُور» عادة مستمرَّة... أقاموا «حَضْرَةً أركانها اللَّازمة: دفٌّ، طار، مزمار، رقَّاص... هاته «الحضرة» الَّتي يقيمونها تتألَّف من أولياءات نسائيَّة ومجاديب ومهابيل وبهلية وبنادرية وقصَّابة، يبتدئون اجتماعهم في موضع يدعى «الكعابشية» «فَرْفَارْ»، ويجتمعون فيقيمون بها ثمَّ يذهبون إلى «بوشقرون» فـ«لِشَانَة» فـ«قمقوم» «غراب فرفار» **فـ«سيدي ارواق» جبل قريب من طُولْقَة** فـ«بدسدريه» (رسوطة) فـ«فُغَالَة» فـ«البُرْج ـ طُولْقَة» فـ«ماضو»[1] ثمَّ يرجعون إلى «فرفار» ثمَّ ينصرفون، عادتهم في كلِّ موضع يقيمون شطحات شيطانيَّة ونغمات كفرانيَّة إلَّا في السَّنة الجارية فقد تكدَّرت حالتهم، فلَمَّا أن حلُّوا بـ«رسوطة» أتى إليهم الحازم النَّشيط أحمد بوزيان (قَارْدْ شَانْبِيتْ)[2]، وأخذ لهم دفهم ومزمارهم وتركهم حيارى متكدِّرين ومنعهم من بدعتهم وأغلظ عليهم وقال لهم: سترون أكثر من هذا فيما يأتي، **وكذلك منعوا من لهوهم بـ«سيدي ارواق»، فقد فعل السَّيِّد عيسى بن سيدي ارواق مثل فعل «القَارْدْ»**، فلَمَّا طرق أسماعنا ذلك الخبر قلنا: الحمد لله الَّذي أوجدنا أحدًا يذبُّ عن الشَّريعة الطَّاهرة النَّقيَّة. فإلى الفاضلين المذكورين نزفُّ خالص تحيَّتنا لما قاموا به من سدِّ ثُلْمة البدع وإعلان كلمة الحقِّ والإصلاح والإرشاد، وإلى مشائخ القرى المذكورة نزفُّ خالص رجائنا من جنابهم السَّامي، لأن يكون لنا أكبر عون وأعظم نصير، وكونوا يدًا واحدةً لإعلاء كلمة الله، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من

---

(١) هذه أسماء قرى مجاورة لـ «بسكرة».

(٢) كلمة أجنبيَّة بمعنى: «حارس بلدي».

أخيكم طارق الإصلاح أو الطِّفل الزَّيتوني».

✍ **الانتقال إلى قسنطينة:**

لَمَّا شبَّ «بلقاسم»، وتفتَّح عقله على الحقِّ، ويظهر أنَّه صادف ذلك بروز الفكرة الإصلاحيَّة، وإشهارها من طرف المصلحين والعلماء المفكِّرين، وبروز «المنتقد» «يحمل فكرة الإصلاح الدِّيني»، يعلن في النَّاس ذلك، ويدعوهم إليه، وهبَّ العلماء الأحرار المفكِّرون للعمل، وبلغ صوتهم مداه، ولا شكَّ أنَّ «بلقاسم»، وقد عرفناه باحثًا متطلِّعًا متشوِّفًا إلى كلِّ ما ينير بصيرته ويغذِّي روحه، قد ارتبط قلبه بهذه الدَّعوة يوم بلغت سمعه، ولعلَّه حدَّثته نفسه الطَّامحة، أن يكون واحدًا من هؤلاء العلماء العاملين، والمصلحين المفكِّرين، والشَّباب النَّاهضين، ولم يكن له طريق إلى ذلك، إلَّا بأنْ يتَّصل بإمام المصلحين، الشَّيخ ابن باديس، الَّذي ملأت شهرته أرجاء الوطن، فكانت فكرة السَّفر إلى قسنطينة، والعزم على الانضمام إلى طلبة «الجامع الأخضر».

كان والد «بلقاسم» قد ترك لهم أرضًا، فبعد أن بلغوا الرُّشد، باع «بلقاسم» تلك الأرض، وقسم المال بينه وبين أُخْتَيْه، وأخذ نصيبه، زادًا له وبُلْغَة، في رحلته لطلب العلم، أين حطَّ رحله في «قسنطينة» لإكمال الدِّراسة، وبقيت أختاه عند عمِّهم الَّذي كان قد كفلهم وهم صغار.

✍ **في حضرة الشَّيخ ابن باديس:**

حدَّثني الأستاذ «صلاح مؤيد العقبي»، أنَّ الشَّيخ بلقاسم بن ارواق، حدَّثه عن أوَّل لقاءٍ جمعه بالأستاذ الإمام ابن باديس، يقول: ذهبت إلى الجامع

الأخضر، ودخلت على الشَّيخ ابن باديس، واستقبلني استقبالًا طيِّبًا، وسألني: هل تحفظ القرآن الكريم؟ وأين حفظته؟ فلمَّا أخبرته ـ أي: أنَّه تعلَّم في الزَّاوية الطُّولقيَّة ـ أثنى الشَّيخ ابن باديس على هذه الزَّاوية [إذْ كان يعرفُ رجالًا من الأسرة العثمانيَّة][1]، يقول «بلقاسم»: ثمَّ قال لي: أعطيك جملةً تعربها.. فأعطاني جملةً رائعةً، قال لي: أعرب «يا رحمةَ الله حِلِّي في منازلنا»، قال: فأعربتها له إعرابًا جيِّدًا، ففرح فرحًا كثيرًا، وسُرَّ لإجابتي، ورحَّبَ بي، وقال: ابتداءً من اليوم، أنت مَعدودٌ في جملة طلبة «الجامع الأخضر».

✍ **في الجامع الأخضر:**

ليست لديَّ معلومات بالضَّبط عن السَّنَة الَّتي التحق فيها «بلقاسم» بالجامع الأخضر، وانْخَرَطَ في سلك تلاميذ ابن باديس، ويغلب على الظَّنِّ أنَّ ذلك كان قبل تأسيس «جمعية العلماء» في (١٩٣١م)، ويذكر لي الأستاذ «صلاح» أنَّه قد يكون ذلك في أواخر العشرينيَّات.

ونجد اسم التِّلميذ «بلقاسم» في «نشريَّة البيانات عن الطَّلبة في سنة ١٩٣٤م»، يقول ابن باديس تحت عنوان: «الدُّروس العلميَّة بالجامع الأخضر بقسنطينة»: «بانتهاء هذه السَّنة الدِّراسيَّة أنهينا ـ بحمد الله ـ إحدى وعشرين سنة في التَّعليم، [من ١٣٣٢هـ إلى ١٣٥٣هـ] وامتازت هذه السَّنة عن سابقتها بشيئين: الأوَّل: قدوم الطَّلبة من العمالة الوهرانيَّة فتمَّ بهم تمثيل الطَّلبة للجزائر كلِّها...»[2]

---

(١) يقول ابن باديس: «عرفت شيوخ الطُّرق أوقاتًا، ثمَّ فارقتهم بتاتًا»، انظر: «آثار ابن باديس» (٦/ ٣٠٤).

(٢) «آثار ابن باديس» (٤/ ٨٢).

ثمَّ نشر البيانات عن الطَّلبة، بذكر أسمائهم وبلدانهم، وجاء ضمنهم:

| الاسم: | البلد: | العمالة: |
|---|---|---|
| أبو القاسم بن رواق | طولقة | قسنطينة[1] |

✍ **تأثير الإمام في تلاميذه، وملامح من تربيَته:**

«إنَّ ابن باديس من الطِّراز الَّذي يقلُّ أمثاله في التَّاريخ، هو قوَّة روحانيَّة تسري في العروق والدِّماء سريان الكهرباء في الأجسام، فتهزُّها هزًّا عنيفًا، وتحدث فيها انقلابًا مفاجئًا، فتحوِّلها من الخمول إلى اليقظة، ومن خرافات وأوهام، إلى تفكير ونظر صحيحين، ومن استسلام وخضوع للباطل وجنوده، إلى شجاعة ومقومة منطقيَّة عاقلة، وعلى الجملة فإنَّ الطَّالب ليجلس بين يديه الأيَّام القليلة، فتتغيَّر تصوُّراته للحياة بسرعة، ويشعر بأنَّه خلق لتأدية رسالته الإنسانيَّة الشَّريفة، ويدرك مسؤوليَّته الكبرى كمسلم يدافع عن إسلامه وعروبته في حرارة وإباء، يحارب الخرافات الَّتي ألصقت بالدِّين، ويكافح لإحياء لغة الضَّاد الَّتي كادت اللُّغة الأجنبيَّة تقضي عليها، وتحتلُّ مكانها، ويعتزُّ بالانتساب إلى وطنه، ويفتخر بتاريخه وقوميَّته ويؤمن بحقِّه في الحياة، كلُّ ذلك بصبر وثبات، واستعداد للتَّضحية بأنواعها..»[2]

وقد كان «بلقاسم» من هؤلاء التَّلاميذ الَّذين طبعهم الإمام بهذا الطَّابع،

---

(١) «آثار ابن باديس» (٤/ ٨٩)، أو: [«الشِّهاب»: (ج٨، م١٠)، غرة ربيع الثَّاني ١٣٥٣هـ ـ جويلية ١٩٣٤م].

(٢) «مذكِّرات ابن عتيق» (ص٥٤).

وصبغهم بتلك الصِّبغة، وأعدَّهم خير إعداد، حتَّى صار مستعدًّا للعمل، مؤهَّلًا للتَّجنيد، ومهيَّئًا للقيادة.

وممَّا كان يفاخر به «بلقاسم»: **استنارة فكره،** فيقول عن ذلك في معرض مجابهة وقعت بينه وبين بعضهم ممَّن أشهر سيف النَّقد على الإمام وبعض تلاميذه، فقال: «**فإنَّ حُرِّيَّة الفِكْر الَّتي رضعناها من شيخنا صغارًا... دفعت بي في الميدان، وجعلتني أُجِيبُهُ بكلِّ صراحة...**». تلك واحدة من الصِّفات الَّتي اكتسبها «بلقاسم» وغيره من عند الإمام.

وقد تبيَّن لي أنَّه كان ينشر بواكير أدبه، وناضج أفكاره ـ وهو تلميذ ـ، في جريدة «النُّور» ـ وبعد تعطيلها ـ أخذ ينشر في جريدة «الأمَّة» الَّتي عَمَرت طويلًا، وقد أبدى «بلقاسم» شكره لهذه الجريدة، وأثنى على خدماتها للأدباء والعلماء.

وأوَّلُ ما نشر له ـ حسب علمي ـ كان سنة (١٩٣٢م).

**✍ مُسَاعَدَةُ الشَّيخ ابن باديس في التَّعليم:**

ثمَّ يواصلُ محدِّثي الأستاذ «صلاح» ـ صديق الشَّيخ بلقاسم ـ، حديثه السَّابق؛ فيقول: «درس عليه دراسةً جيِّدةً، ولَّما لاحظ الشَّيخ ابن باديس في هذا التِّلميذ: الكفاءة والذَّكاء وفصاحة اللِّسان ـ فقد كان بلقاسم فصيحَ اللِّسان عليه رحمة الله ـ، كلَّفه بالتَّدريس للطَّبقة الأولى من تلاميذ «الجامع الأخضر»، ويقولُ أيضًا: تعلَّم وعلَّم مع الشَّيخ ابن باديس؛ درس عليه، ودرَّس معه، حيث أوكل إليه الأستاذ تدريس السَّنوات الأولى «طبقة الآجروميَّة وابن عاشر»،

فكان معه مساعدًا ومعينًا في «الجامع الأخضر»» اهـ؛ وهذا يدلُّ على أقدميَّة الشَّيخ بلقاسم في التَّلمذة على ابن باديس وعلى كفاءته أيضًا.

وها هو «بلقاسم» يدلي بدلوه في ميدان «إلقاء الخطب»، فقد جاءته الفرصة ليثبت مقدرته، ويحطَّ قدمه في هذا الميدان الفسيح، ـ ولعلَّها أوَّل مرَّة يخطب فيها أمام الجماهير، وهو لا يزال يتلقَّى دروسه بالجامع الأخضر ـ:

**✍ مشاركته في المؤتمر السَّنوي الخامس للجمعيَّة [سبتمبر ١٩٣٥م]:**

في يوم الأحد السَّادس عشر من جمادى الثَّانية عام ١٣٥٤هـ، والأيَّام الثَّلاثة الموالية له، كان اجتماع المؤتمر السَّنوي الخامس للجمعيَّة بنادي التَّرقِّي، كان اليوم الرَّابع حافلًا بالخطب المتنوِّعة على نظام مقرَّر، خطب فيه نحو من عشرين خطيبًا[١]..» وقد خطب في هذا الجمع الكبير، الشَّيخ الشَّاب «أبو القاسم رواق»، وسمعت تلك الوفود نموذجًا حيًّا، ممَّن خرَّجهم «الجامع الأخضر».

وقد جُمعت تلك التَّقارير الَّتي ألقيت في المؤتمر والخطب الَّتي تليت والقصائد الَّتي أنشدت في اليوم الأخير، ورتِّبت ونُشرت في كتاب طُبِعَ على نفقة الجمعية، في [المطبعة الإسلامية الجزائرية]، وسمِّي «سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...»، وقد أعادت طبعه «دار الكتب الجزائر» (١٩٨٢م)، جاء في الصفحة (٢١٩) منه: «خطبة الشَّيخ بلقاسم بن رواق»، وأمضاها بـ«**بلقاسم بن سيدي ارواق**»، ونشرت معها صورته، وقد ظهر فيها شابًّا فتيًّا.

---

(١) «آثار الإبراهيمي» (١/ ١٥٧).

✍ **النَّائب المتجوِّل لمجلَّة «الشِّهاب»**:

لقد حظي التِّلميذ «بلقاسم» بثقة شيخه، ونال حظوةً عند أستاذه؛ إذ ظهر بمظهر الرِّجال الَّذين يعتمد عليهم، ويستعان بهم في مهمَّات الأمور، وجلائل الأعمال، وأنَّه أهل لتحمُّل المسؤولية، والقيام بها حقَّ قيام.

فكلَّفته إدارة مجلة «الشِّهاب» وصاحبها الشَّيخ ابن باديس أن يكون واحدًا من النُّوَّاب المتجوِّلين عن المجلَّة، وموفدًا من إدارتها إلى إحدى جهات الوطن، ولا شكَّ أنَّه لا يكلَّف بمثل هذه المهمَّة إلَّا من جمعوا إلى جانب العلم، الأمانة والحزم، وعرفوا بالهمَّة والنَّشاط.

* جاء في [مج٩، ربيع الأول ١٣٥٢هـ/ جوليت ١٩٣٣م، ص٣٥٠] ما يلي:

**إلى الأفاضل مشتركي هذه المجلَّة**... أيُّها السَّادة... إنَّ إدارة **مجلَّتِكم** الشِّهاب أوفدت نوَّابها إليكم وهم... وهي ترجو منكم قبولهم بإحسان كما هي عادتكم وإعانتهم على بلوغ مأموريتهم، بارك الله فيكم وأيَّد بكم العلم والدِّين والوطن آمين... [إلى أن ذكر] **الشَّيخ بلقاسم بن سيدي رواق** إلى الخروب ـ عين عبيد ـ وادي الزَّنَّاتي ـ قالمة ـ سدراته ـ سوق أهراس ـ عنابة».

ثمَّ تضع إدارة «الشِّهاب» وصاحبها، الثِّقة ـ مرَّة أخرى ـ في «بلقاسم»؛ فتكلِّفه بمهام أكثر، وتوفده إلى نواح أوسع، فقد تلا الإعلان المتقدِّم:

«**اعتذار وإعلام**»، جاء فيه: «إنَّ للشَّيخ الفُضيل حسنين الورْتِلَانِي أشغالًا في بلاده ـ لافاييط ـ [بوقاعة] ونواحيها توجب المصلحة أن يباشرها بنفسه، لهذا فهو يعتذر لتخلُّفه عن زيارة مشتركي هذه المجلَّة في بلاد

القبائل الكبرى وبجاية وسطيف، وقد رأت الإدارة أن توفد لهذا الخطِّ وتوابعه مع شرق عمالة الجزائر إلى العاصمة حضرة السَّيِّد **بلقاسم رواق أحد تلامذة الأستاذ**، فنرجو من قرَّاء «الشِّهاب» ومحبِّيه أن يقوموا معه بالواجب ويساعدوه على بلوغ مأموريَّته».

**✍ نائب «الشِّهاب»؛ الشَّيخ بلقاسم تُدَبَّر له مكيدة:**

ما فَتِئَ الشَّيخ بلقاسم يمضي في مهمَّته متوكِّلًا على الله، حتَّى اعترض طريقه خصوم الإصلاح من الطُّرقيِّين، أعداء الحقِّ والعلم، فدبَّروا له مكيدة كادت أن تُوقع به، لو لا أنَّ الله سلَّم ودفع عنه.

ذكرت «الشِّهاب» هذه الواقعة تحت عنوان: «كلمة شكر واعتبار إلى الأستاذ السَّيِّد حموتن المدرِّس بتيزي وزو»[1]: «شاءت نفوس بعض مرضى العقول بالدَّاء الطُّرقي أن تنسج شبكة من الكذب، فتقدَّمت لحاكم بلدة تيزي وزُّو بوشاية كاذبة بقصد عرقلة **نائب «الشِّهاب» السَّيِّد بلقاسم بن سيدي رواق**، ولولا دفاع الأخ السَّيِّد حموتن الأستاذ بالكُولِيجْ لوقع في مكروه مع الحكومة المحليَّة، فإنَّ الأستاذ عرَّف الحاكمَ بحقيقة الرَّجل ونفى عنه التُّهم الباطلة وبيَّن كذلك مبادئ مجلَّة «الشِّهاب» وحربها للدَّجل والخرافة والمروِّجين لهما، فعرف الحاكم منشأ الوشاية وانتصر للحقِّ على الباطل، والحمد لله ربِّ العالمين، وجزى الله خير الجزاء الرِّجال العاملين، وإدارة الشِّهاب تخلِّد شكر

(١) في [مج١٠، الجزء١٠، جمادى الثَّانية ١٣٥٣هـ/ ١١ سبتامبر ١٩٣٤م، ص٣٧٦].

الأستاذ حموتن على عمله المعتبر وغيرته على الحقِّ وانتصاره للصَّادقين»[1].

لقد عمل «الشَّيخ بلقاسم» نائبًا متجوِّلًا لمجلَّة «الشِّهاب» عدَّة سنوات، لم نتمكَّن من ضبطها، لكنَّه كان يقوم بهذه المأموريَّة، من سنة ١٩٣٣، إلى سنة ١٩٣٦م.

**✍ الشَّيخ بلقاسم، الكاتب العام للجنة الدِّعاية:**

عُيِّن «بلقاسم» (سنة ١٩٣٦م) كاتبًا عامًّا لِلَجْنَة الدِّعاية الَّتي تفرَّعت عن «المجلس الإداري» لجمعية العلماء، وسيأتي الحديث عن ذلك.

ثمَّ نجد الشَّيخ بلقاسم بن ارواق في سنة ١٩٣٧م، قد بدأ العمل في جبهة أخرى، ورابط في ثغر من أعظم الثُّغور، بل هو من غايات الإصلاح، ومن أساسيَّاته، ألا وهو: التَّعليم، ولقد كان هذا الميدان ـ ميدان التَّربية والتَّعليم ـ هو الَّذي كان يعدُّ له ابن باديس تلاميذه، ويهيِّئهم لخوض غماره:

**✍ الشَّيخ بلقاسم معلِّمًا في «برباشة»[2] [١٩٣٧م]:**

«تكوَّن [الشيخ بلقاسم] في المدرسة الباديسيَّة تكوينًا علميًّا تربويًّا أهَّله ليكون معلِّمًا مربِّيًا، وخطيبًا مصقعًا، وكاتبًا بليغًا... «وها هو ينزل إلى ميدان

---

(١) ذكر هذه الحادثة الأستاذ الحسن فضلاء في «المسيرة الرائدة..» (٢/ ١٥٤)، وهو يتحدَّث عن «السَّيِّد محمَّد حموتن المعلِّم الرَّسمي بالمدارس الفرنسيَّة»، وعن مدرسة تيزي وزو، لكنَّه لم يذكر اسم هذا المتجوِّل، وهو «بلقاسم»؛ وقد ذكر أنَّه أودع السِّجن.

(١) قرية «برباشة» وهي على جنوب بجاية وغرب سطيف، وتبعد عن الأولى بنحو ثلاثين ميلا وعن الثَّانية بأكثر من مائة، وهي بلدة المناظر الهائلة والجمال الطَّبيعي.. [«البصائر»: (س١، ع ١٥٤، ص٢، «برباشة وعلاقتها بجمعيَّة العلماء» لعمر بوعناني].

التَّربية والتَّعليم والدَّعوة والإصلاح الَّذي أعدَّه له ابن باديس، وقد تخرَّج من مدرسته» عاقدًا العزم على السَّير في طريق شيخه متَّسقًا معه في جهاده، مترسِّمًا خُطَاهُ، مستهدفًا مطالبه وغاياته!!»[1]

✍ **اجتماع «مؤتمر» المعلِّمين الأحرار [٢٢و ٢٣ سبتمبر ١٩٣٧م]:**

«دَعَا الأستاذ عبد الحميد بن باديس أوَّل هؤلاء المعلِّمين وباعث روح اليقظة والنَّهضة ـ إلى عقد مؤتمر للمعلِّمين الأحرار المنبثِّين عبر القطر الجزائري في مدنه وقراه؛ لإصلاح التَّعليم، وتجديد أساليبه وتوحيد طرقه...

وبعد عشرين يومًا من صدور بلاغ الدَّعوة إلى المؤتمر، حضر المؤتمرون في نادي التَّرقِّي بالجزائر العاصمة وشاركوا في مؤتمرهم وأدلوا بآرائهم»[2].

وقد كان الشيخ «بلقاسم» من أولئك الأساتذة القائمين بمهمَّة التَّعليم الحرِّ، وممَّن لبَّوا نداء الأستاذ الإمام، وقد أعدَّ تقريرًا فيه آراؤه وتجاربه، ألقاه في هذا المؤتمر، «و«البصائر» في عددها ٨٣ المؤرَّخة في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧م، تنشر خلاصة أعمالهم بما يلي وببعض التَّصرُّف:

**«عقد مؤتمر لمعلِّمي المدارس العربيَّة الحرَّة»**: انعقد المؤتمر صبيحة الأربعاء ١٦ رجب ١٣٥٦هـ، «افتتح الجلسة شيخ العلماء ورئيس جمعيَّة العلماء الأستاذ عبد الحميد بن باديس بخطاب قيِّم نفيس حيَّ فيه المؤْتَمِرِينَ، وأشعرهم بأنَّه معلِّم قديم، وأنَّه يفتخر بهذه الصِّفة، وبيَّن بفصاحته النَّادرة واجب المعلِّم وفائدة

---

(٢) «أعلام من المغرب العربي» لمحمَّد صالح الصِّدِّيق (٣/ ٩٢٥).

(٣) «المسيرة الرَّائدة للتَّعليم العربي الحرِّ» للحسن فضلاء (٢/ ٨ ـ ١١).

التَّعليم... ثمَّ أنهى كلامه بانتهائه من خطابه إلى الأساتذة المقرِّرين وهم المشائخ: ...، **بلقاسم بن رواق**...، فتلوا تقاريرهم في المسائل (السَّالفة الذِّكر، والمدرسة في البلاغ الموجَّه إلى المؤتمرين)... أجمع المؤتمرون على أن يكون ملخَّص التَّقارير أساسًا لبرنامج التَّعليم الَّذي تكفَّل المجلس الإداري بتعيين لجنة تقوم بوضعه»[1].

**الشَّيخ بلقاسم مدرِّسًا في مدرسة «قلعة بني عبَّاس»:**

ونجد في هذا التاريخ (١٩٣٨م) الشَّيخ «بلقاسم» مدرِّسًا في «مدرسة قلعة بني عباس»، في منطقة القبائل الصُّغرى، الَّتي سمَّاها رجل الجزائر العظيم الأستاذ بن باديس» بـ: «قلعة السُّنَّة».

انتقل إليها بعد مغادرة الشَّيخ «ابن عتيق» لها سنة ١٩٣٧م، وجعل يبني على ما شيَّده أخوه من قبله، ويكمل مسيرة التَّربية والتَّعليم من بعده، وهم إخوةٌ من بعض... وكان «الشَّيخ بلقاسم» هو الَّذي قاد هذه الجموع إلى الخير، مع إخوانه المعلِّمين، وقد تعاون معهم على ما فيه نفع العموم.

وكغيرها من المدارس الحرَّة، ومكاتب التَّعليم العربي، كانت «مدرسة القلعة»، ومدرِّسوها ومعلِّموها، يلقون المضايقات، ويتعرضون للاضطهادات، ويُعاكَسون فيما يقومون به من تعليم وتثقيف أبناء الأمَّة، وينالهم نصيبهم من معاملات الجور والحيف، فيُوقَف معلِّمو هذه المدرسة، بحجَّة أنَّهم يعلِّمون بغير رخصة، وهذه مخالفة للقانون تستوجب عقابهم، فيساقون إلى المحكمة كجناة ومجرمين.

---

(١) المصدر نفسه.

✍ **تهنئة من «البصائر» إلى رجال قلعة بني عبَّاس:**

وأجريت المحاكمة للشَّيخ بلقاسم ورفيقيه، في اليوم الَّذي حدِّد لها، وردَّ الله كيد الكائدين، ورجع المعلِّمون منتصرين، وبعد تبرئة ساحة معلِّمي مدرسة «القلعة» أمام مجلس العدليَّة، وبعد هذا الانتصار، كتب الثَّلاثة الَّذين وجِّهت لهم التُّهمة، وأوقفوا لمحاكمتهم، ومنهم: «الشَّيخ بلقاسم» عن تداعيات محاكمتهم، وما جرى فيها، وما كان من دفاعهم عن أنفسهم ودفاع محاميهم، ثمَّ تبرئتهم، كتبوا ذلك إلى شيخ العلماء ورئيس «جمعية العلماء» ابن باديس، ونشرتها «البصائر»، وصدَّرتها بتهنئتهم على انتصارهم[1]

ثمَّ عاد الشَّيخ بلقاسم أحد هؤلاء المعلِّمين، ليكتب عن قضيَّتهم بأسلوبه الخاصِّ، فذكر ما نالهم وحصل معهم في مدرستهم، ونشرت مكاتبته في «البصائر»[2] تحت عنوان: «نحن والحكومة المحلِّيَّة في نهضتنا الحديثة».

✍ **الشَّيخ بلقاسم وأهالي القلعة... على خُطَى الإمام [فيفري ١٩٣٨م]:**

واستجابة لنداء الإمام، وتلبيةً لدعوته إلى رفع الاحتجاج والاستنكار، على مساومات الاستعمار لهذه الأمَّة على دينها ولغة دينها، قام أهالي «القلعة» متجنِّدين، وعلى رأسهم الشَّيخ «بلقاسم»، فاجتمعوا كلُّهم، وحرَّر «الشَّيخ بلقاسم» بالنِّيابة عنهم، وباسمهم «عريضة احتجاج واستنكار» على كلِّ محاولة لمسِّ الشَّخصيَّة الإسلاميَّة أو تغييرها أو محوها، اجتمعوا وعددهم «ألفان»،

---

(١) «البصائر» في: [العدد: ٩١ ـ ١٣ شوال ١٣٥٦هـ/ ١٧ ديصامبر ١٩٣٧م، ص٤].

(٢) [العدد: ٩٤، ٥ ذي القعدة ١٣٥٦، ٧ جانفي ١٩٣٨م، ص٦].

مناهضين لهذا العدوان، ورافعين أصواتهم بالاحتجاج والاستنكار، معبِّرين عن رفضهم لهذه المؤامرة، وكان في مقدِّمتهم معلِّمو المدرسة، وأبرزهم الشَّيخ بلقاسم، وقد نشرت «البصائر» تلك العريضة [1]، تحت عنوان: «**احتجاجات**»:

«**نصُّ احتجاجٍ** إلى مُسْيُو شُوطَانْ ـ رئيس الوزراء ـ، وم. صَارُو، وم. لَقْرُوزِلْيَارْ النَّائب بالبرلمان.

نحن القلعيِّين المجتمعين بالقلعة العبَّاسيَّة متصرِّفيَّة «أَقْبُو» وعددنا ألفان نحتجُّ بكلِّ قُوَانَا ضِدَّ كلِّ تغيير يمسُّ شخصيتنا الإسلاميَّة ونؤكِّد لجنابكم أنَّ كلَّ تغيير يمسُّ بالذَّاتيَّة الإسلاميَّة نعتبره مسًّا مخطرًا بديننا الإسلاميِّ الأمر الَّذي لا نرضاه بحال.

القلعة العبَّاسيَّة في ١٢ فيفري ١٩٣٨ ـ **بلقاسم بن رواق وألْفان من النُّفوس**»

### ✍ قانون ٨ مارس المَشْؤُوم:

فبعد مقاومة الإدارة الاستعمارية للتَّعليم الإسلامي للدِّين ولغة الدِّين، ومنع إعطاء الرُّخص للطَّالبين، وتتبُّع المعلِّمين وتقديمهم للمحاكمة كمجرمين، صدر قانون ٨ مارس ١٩٣٨م، الَّذي هو إشهار للحرب على لغة الأمَّة ودينها... تشديدٌ واضطهاد للمعلِّمين الأبرياء، وتعطيل وإغلاق للمدارس الدِّينيَّة العربيَّة، طبِّق هذا القانون تطبيقًا جائرًا مغرضًا، فكان من آثاره: مساجد محجَّرة، وكثير من المدارس معطَّلة، وكثير من الكتاتيب القرآنيَّة مغلقة، وكثير من المعلِّمين متابعون في المحاكم ومئات الآلاف من أبناء المسلمين

---

(١) في [العدد: ١٠٥ ـ ٢٣ محرم ١٣٥٧، ٢٥ مارس ١٩٣٨، ص٥].

مشرَّدون في الشَّوارع.

وقد والت «البصائر» الكتابة عمَّا كان يلقاه أعضاء «جمعية العلماء» العاملون ـ وهم الطَّائفة القائمة على نشر تعليم الإسلام ولغة الإسلام للصِّغار والكبار ـ من أنواع المعاكسة والاضطهاد، وهم صابرون محتسبون.

ولقد كان الشَّيخ بلقاسم واحدًا من أولئك الأبطال المستبسلين، والشُّجعان الثَّابتين، الَّذين أبلوا بلاء حسنًا رغم التَّهديد والوعيد، وقد قدَّموا عهدًا لله وللأمَّة أن يدافعوا عن دينها ولغة دينها وقرآنها إلى آخر رَمَقٍ من حياتهم، وقد استمرَّ هو وإخوانه المعلِّمون مرابطين في مدرسة «القلعة» إلى أن أغلقت مدرستهم.

ويبدو أنَّ «بلقاسم» بعدها، رجع إلى «بسكرة» [١٩٣٩م]، فإنَّنا نجده يحرِّر منها مقالًا، نشرته «البصائر»[١].

**✍ صلة بلقاسم بأستاذه ابن باديس:**

يحدِّثني الأستاذ صلاح[٢]، حدَّثه الشَّيخ بلقاسم، عن صلته بأستاذه الشَّيخ ابن باديس، فقال: «كنت أزوره، وأتردَّد عليه دائمًا وأبدًا، لم أكن أصبر على إطالة الغيبة على الشَّيخ، فكنت إذا وجدت فسحةً وشيئًا من الفراغ، أذهب إلى زيارته في قسنطينة، وقال: لا يمرُّ عليَّ شهرٌ أو شهرٌ ونصف، إلَّا وأذهب إليه، فأحادثه، وأجلس إليه، وآكل معه...»، وهذا يؤكِّد تلك الصِّلة القويَّة الَّتي كانت بين الشَّيخ ابن باديس، و بين طَلَبَتِهِ.

---

(١) في عددها: (١٥١)؛ ٣ ذي الحجة ١٣٥٧هـ/ ٤ فيفري ١٩٣٩، (ص٤ ـ ٥).

(٢) المقابلة الأولى بتاريخ ٥ رجب ١٤٢٨هـ.

✍ **وفاة الشَّيخ ابن باديس:**

توفِّيَ ابن باديس في يوم الثلاثاء ٠٨ ربيع الأول ١٣٥٩هـ، الموافق لـ: ١٦ أبريل ١٩٤٠م، بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، قضاها جلّها في التَّعليم والتَّدريس الَّذي لم ينقطع عنه، فكان آخر درس له قبل ثلاثة أيَّام من وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبموته طُوِيَتْ مرحلةٌ من تاريخ مراحل الدَّعوة الإصلاحيَّة في الجزائر، وولَّى عهدٌ، وجاء بعده عهدٌ آخر بتحدِّيَّاته، حمل فيه الرَّاية الإمام الثَّاني للنَّهضة، والخليفة من بعدِ ابن باديس على رئاسة «جمعيَّة العلماء» الإمام الإبراهيمي.

ولقد كان الشَّيخ «بلقاسم» من أولئك الرِّجال الَّذين يُذَكِّرون بشيخهم، ويجدِّدون العهد به، ويحملون الرَّاية من بعده، ويقتفون الأثر من ورائه.

✍ **جمعية العلماء تستأنف نشاطها، وتواصل كفاحها...**

**الإبراهيمي يرأس جمعيَّة العلماء ويقوم بأعمال مهمَّة:**

يقول أحد رجال الجمعية: «استطعنا بعد العفو العام [يعني بعد حوادث ماي ٤٥م] أن نعقد مؤتمرًا عامًّا للمعلِّمين الأحرار الَّذين أغلقت مدارسهم وشرِّد تلاميذهم، وأن نعقد من بعدُ مؤتمر جمعيَّة العلماء ونجدِّد عهد العمل المنظَّم ونعيد فتح جميع مدارس الوطن غير معترفين لفرنسا بحقِّ المنع والغلق والتَّشريد...»(١)

✍ **نشاط الحركة الإصلاحيَّة في مقاطعة وهران [١٩٤٣]:**

«وفي سنة ١٩٤٣ استيقظت الحركة الإصلاحيَّة بمقاطعة وهران، وهبَّ

---

(١) «أعلام من المغرب العربي» للصَّالح صديق (٣/ ١٢٣٦).

الكثير من بلدانها لتأسيس المدارس الحرَّة بها على إثر الجولة الَّتي قام بها الرَّئيس الثَّاني لجمعيَّة العلماء الأستاذ الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي، ...واستنجد بجمعيَّة العلماء ليمدُّوه بمعلِّمين أكْفاء لإدارة هذه المدارس وتسييرها ولم يكن بُدٌّ من تحوُّل الجهود إلى هذه النَّاحية من الوطن... وذلك أنَّ «هذه المقاطعة كانت لذلك العهد في تأخُّر وجمود بالنِّسبة إلى مقاطعتي قسنطينة والجزائر...»، ولا تزال الكثير من مدنها «ترزح تحت أعباء الطُّرقيَّة المخرِّفة»[1]

فاستجابت «الجمعيَّة» وأمدَّته بمعلِّمين ممتازين من العمالة القسنطينية»[2].

وكان من ضمن هؤلاء الموفدين، من المعلِّمين الأكفاء، والأساتذة الممتازين، الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق»:

**✍ معلِّمًا في مدينة «بلعباس» [١٩٤٨م]:**

لا أعلمُ متى ذهب الشَّيخ «بلقاسم» إلى مدينة «أبي العبَّاس»؟ وفي أيِّ سنة حلَّ بها؟ إلَّا أنَّه كان موجودًا بها في هذا التَّاريخ (١٩٤٨م)، وقد رحل إليها، بجميع أهله، وقد وُلد له، وهو مرابط في هذه المدينة، معلِّمًا في إحدى مدارسها التَّابعة لجمعيَّة العلماء.

ولقد كان «بلقاسم» من رجالها المخلصين وأعضائها العاملين، ومعلِّمًا من معلِّميها النَّاجحين الَّذين اعتمدت عليهم في هذه المهمة النَّبيلة، ويدلُّك انتقال «الشَّيخ بلقاسم» بكلِّ عائلته إلى هذه المدينة من مدن الغرب الجزائري، ما كان

(١) «مذكِّرات ابن عتيق» (ص١١٤).

(٢) المصدر نفسه.

يتحلَّى به رجال ابن باديس، من الصَّبر والتَّحمُّل، والتَّضحية والبذل في سبيل الله، وفي سبيل الدِّفاع عن الوطن، والتَّفاني في خدمته، وإنهاض أبنائه، فما كانوا يعيشون لأنفسهم، وإنَّما يعيشون للأمَّة ولـ«جمعية» الأمَّة، فمتى رأت المصلحة في إرسالهم إلى جهة، أو نقلهم إلى أخرى، أو تكليفهم بمهِمَّة، أو تقليدهم مسؤوليَّة، فإنَّهم لها أوفياءُ مخلصون، ولما رأَتْه منفِّذون مستجيبون، رغم أنَّ ظروف أكثرهم كانت صعبة، ووضعيَّتهم حرجة، وقد كانت المصلحة العامَّة تقتضي أن ينتقل من مقاطعة «قسنطينة» إلى مقاطعة «وهران»، لمواصلة الكفاح بها.

✍ **الشَّيخ بلقاسم مديرًا لمدرسة «عين تِمُوشَنْتْ» [أكتوبر ١٩٤٩م]:**

نشرت «البصائر»[(١)]:

**قائمة توزيع المعلِّمين لسنة (١٩٤٩.١٩٥٠)**

وفيما يخصُّ عمالة وهران، نجد البيان التَّالي:

(١٣) ـ مدرسة عين تِمُوشَنْتْ:

١ ـ بلقاسم بن رواق «مدير».

٢ ـ قدُّور ابراهيمي.

✍ **الوعظ الدِّيني في رمضان:**

«الوعظ الدِّيني من وظائف جمعيَّة العلماء، وبه بدأت حركتها العظيمة... ولجمعيَّة العلماء سُنَّة حميدة جرت عليها منذ نشأت، وهي تخصيص شهر رمضان المبارك بعناية زائدة في الوعظ والإرشاد؛ لأنَّه شهر عبادة... تدعو جمعيَّة

---

(١) في عددها [٩٣، ٩ محرم ١٣٦٩هـ، ٣١ أكتوبر ١٩٤٩م، ص٥].

العلماء رجالها في كلِّ عام إلى القيام المنظَّم بدروس الوعظ والتَّذكير في أمسيات شهر رمضان وفي لياليه، فيقومون بذلك الواجب على أكمل وجه».

ولقد كان الشَّيخ «بلقاسم» من جملة المشايخ، الَّذين عُدَّتهم في الوعظ كتاب الله، وما صحَّ من حديث رسول الله [ﷺ]، وقد نُشِرَ بيانٌ بأسماء الَّذين وقع عليهم الاختيار(1)، وفيه:...

| المشايخ | المراكز |
|---|---|
| أبو القاسم بن رواق | عين تموشنت». |

قضى الشَّيخ «بلقاسم» السَّنة الدِّراسيَّة (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠) مديرًا لمدرسة «عين تموشنت»، ويبدو أنَّه لم يطب له المقام بها، ليأتي القرار بنقله إلى مدرسة أخرى.

✍ **الشَّيخ بلقاسم مديرًا لمدرسة مَغْنِيَّة [أكتوبر ١٩٥٠م]:**

وتأتي السَّنة الدِّراسيَّة الجديدة (١٣٧٠هـ، أكتوبر ١٩٥٠م)، فتنشر «البصائر»(2):

«قائمة توزيع المعلِّمين للسَّنة الدِّراسيَّة (١٩٥٠ ـ ١٩٥١)»، وذلك بقرار من لجنة التَّعليم العليا، وإذا بها تعيِّن الشَّيخ بلقاسم مديرًا على مدرسة مغنيَّة.

ففي الجدول المخصَّص لـ«عمالة وهران»:

* مدرسة مغنيَّة:

١ ـ بلقاسم بن رواق «مدير».    ٢ ـ السَّعدي الرهيوي.

---

(١) في «البصائر» [العدد ١٢٢، ١٩ شعبان ١٣٦٩، ٥ جوان ١٩٥٠م، ص٢].

(٢) [العدد: ١٣٥، ص٢].

### ✍ يوم خالد بمَغْنِيَّة:

تحت هذا العنوان كتب أحد مراسلي جريدة «البصائر» في وصف هذا الاحتفال، بحفر أساس مدرسة مَغْنِيَّة

والشُّروع في بنائها؛ فقال: «عاشت مدينة مَغْنِيَّة يوم الأحد ١٩ جمادى الأولى [١٣٧٠هـ ـ ٢٥ فيفري ١٩٥١م] يومًا خالدًا لم تشهد له مثلًا منذ تأسيسها في القرن الماضي، وهو يوم من هذه الأيَّام الخالدة الَّتي عاشت فيها كثير من مدن الجزائري وقُرَاه بسبب جمعيَّة العلماء وأعمالها ورجالها... وفي مطلع هذه السَّنة الجديدة، شرع [المَغْنِوِيُّون بمعاونة إخوانهم النَّدْرُومِيِّين] في حفر أساس هذه المدرسة الواسعة الَّتي تزيد مساحتها على ثمانمئة متر مربَّع.. ولمَّا تمَّ حفر الأساس وأصبحت مواد بنائه متيسّرة تقرَّر وضع الحجرة الأولى في أساسه يوم الأحد ١٩ جمادى الأولى المنصرم... وشرع الكلُّ في العمل مباشرة... وقد ظلَّت كذلك من الفجر إلى الغروب، وعلى السَّاعة التَّاسعة ونصف كان موعد وضع الحجرة الأولى في الأساس، وقد باشر ذلك وجهاء المصلحين وأعيان الحاضرين **نخصُّ منهم بالذِّكر الشَّيخ أبا القاسم بن رواق مدير مدرسة مَغْنِيَّة**، الَّذي ألقى كلمة لطيفة بهذه المناسبة...» إلخ ما كتبه «شاهد عيان» من «مَغْنِيَّة»، و لم يحضر الشَّيخ الإبراهيمي هذا الافتتاح لظروفه القاهرة وأشغاله الكثيرة[(١)].

وقد عمل الشَّيخ «بلقاسم» على حثِّ الأمَّة المَغْنَاوِيَّة والمناطق المجاورة لها

---

(١) [«البصائر» السِّلسلة الثَّانية، العدد ١٤٦، ٤ جمادى الثَّانية ١٣٧٠هـ، ١٢ مارس ١٩٥١م، ص٧ ـ ٨].

على البذل والعطاء لإتمام إنجاز هذه المدرسة، فها هو ينشر على صفحات جريدة «البصائر» نداءً يدعو فيه الكرام للتَّبرُّع:

«كتاب مفتوح إلى إخواننا المَغْنَاوِيِّين بفرنسا والمغرب الأقصى»[1].

ويحلُّ شهر رمضان المبارك، وتعود «جمعيَّة العلماء» إلى عادتها المنظَّمة، من تكثيف الدُّروس في هذا الشَّهر، وحثِّ رجالها في البلدان للقيام بالوعظ والإرشاد، وتنشر «البصائر» قائمة الوعَّاظ، مع تعيين مراكزهم.

| المشائخ | المراكز |
| --- | --- |
| أبو القاسم بن رواق | مغنية[2] |

✍ **الاحتفال بفتح مدرسة التَّربية والتَّعليم بمدينة مَغْنِيَّة [نوفمبر ١٩٥١م]:**

احتفل بفتح هذه المدرسة صباح يوم الأحد ٢٥ صفر ١٣٧١هـ موافق ٢٥ نوفمبر ١٩٥١م، «وقد شرَّفها بحضوره فضيلة الأستاذ الإمام الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي»، أمَّا عن وصف هذا الاحتفال، فقد كتب عنه «شاهد عيان» في «البصائر»[3] تحت عنوان: «فصل مبارك على العمالة الوهرانية ـ ثلاث مدارس في ثلاثة أشهر»، وكانت «مظاهرة ثقافية» ـ على حدِّ تعبير الكاتب ـ.

وبمناسبة ذكر تشييد المدارس، والاحتفالات العظيمة والتظاهرات الكبيرة التي كانت تقام ابتهاجا بهذه الانتصارات، التي كان يجتمع لها أنصار

(١) [العدد ١٤٩، ٢٥ جمادى الثانية ١٣٧٠هـ، ٢ أفريل ١٩٥١م، ص٨].

(٢) «البصائر» العدد ١٥٦، ١٥ شعبان ١٣٧٠هـ، ٢١ ماي ١٩٥١م، ص٢.

(٣) [العدد ١٨٠، ص٢].

الإصلاح ومحبُّو العلم من شتَّى النَّواحي من أقصى الشَّرق إلى أقصى الغرب، ويحضره ممثِّلون من جميع العمالات الَّتي تنقسم إليها الجزائر، بالإضافة إلى ممثِّلي الجمعية، و المعلِّمون والمرشدون والمديرون، كان الشَّيخ «بلقاسم» من ضمن المدعوِّين لحضورها، والملبِّين لشهود هذه الأعراس الوطنيَّة، لا سيَّما وقد كان يأتيها الإمام البشير الإبراهيمي، ويحضرها بنفسه، ويلقي فيها الخطابات العظيمة، من ذلك افتتاح جامع ومدرسة «الحْنَايَا»: في٢٥ شعبان ١٣٦٩ الموافق ١١ جوان ١٩٥٠: «.. جلس الأستاذ الرَّئيس على المنصَّة وأحاط به أبناؤه المديرون والمعلِّمون، فكان منظرًا مصغَّرًا فيه كلُّ الرَّوعة وكلُّ البهجة، جلس عن يمينه الأستاذ السَّعيد الزموشي، **فالأستاذ أبو القاسم رواق،** فالأستاذ عبد الحفيظ الثَّعالبي (مدير مدرسة الحْنَايَا)...»(١)

### ✍ عودةٌ أخرى إلى دروس الوعظ في رمضان:

ثمَّ يحين دخول شهر رمضان، فتنشر «البصائر» **قائمة الوعَّاظ لشهر رمضان،** كما اعتادت ذلك في كلِّ موسم، ونجد الشَّيخ «بلقاسم» من بين أولئك الشُّيوخ، كما نجده لا يزال بمركزه: مدينة «مَغْنِيَّة».

بلقاسم بن رواق مغنية(٢)

### ✍ مؤتمر المديرين [١٩٥٢م]:

دعت لجنة التَّعليم إلى عقد مؤتمر المديرين لمدارس «جمعيَّة العلماء»، فانعقد

(١) [«البصائر» العدد: ١٢٤، ٤رمضان ١٣٦٩ هـ، ١٩ جوان١٩٥٠م، ص٣].

(٢) [العدد: ١٩٠، ٢٤ شعبان ١٣٧١هـ، ١٩ ماي ١٩٥٢م، ص٢].

الاجتماع بمديري مدارس عمالة الجزائر في «مركز جمعيَّة العلماء» يوم ١١/ ٥/ ١٩٥٢م وبمديري مدارس عمالة وهران في «دار الحديث بتلمسان»، يوم ١٥/ ٥/ ١٩٥٢م، والمؤتمران قد انعقدَا تحت إشراف [الرَّئيس الثَّاني للجمعية] الشَّيخ العربي التبسِّي، أمَّا مؤتمر مديري مدارس عمالة قسنطينة فقد انعقد تحت إشراف نائب الرَّئيس الشَّيخ محمَّد خير الدِّين في «معهد ابن باديس» يوم ١٧/ ٥/ ١٩٥٢م، وقد قامت المؤتمرات الثَّلاثة بدراسة مستفيضة حول القضايا الَّتي تتعلَّق بالإدارة، والمدير مع التلاميذ والمعلِّم والمجتمع، وقد نوَّهت بذكرها جريدة «البصائر»[(١)].

✍ **مؤتمر تلمسان. بقلم الشَّيخ «بلقاسم»:**

وقد كتب الشَّيخ «بلقاسم» عن مؤتمر تلمسان، وقد كان أحد المؤتمرين، والمشاركين بصفته مديرًا لإحدى تلك المدارس العربيَّة الحرَّة «مدرسة مغنية»، ونشرت مكاتبته تحت عنوان: «**في مدرسة «دار الحديث»**»[(٢)]

✍ **الانتقال إلى الجزائر العاصمة:**

لم يمرَّ أكثر من عامين دراسيَّين على الشَّيخ «بلقاسم»، وهو على رأس إدارة مدرسة «مَغْنِيَّة» «مديرًا»، حتَّى ـ كما يبدو ـ غادرها إلى الجزائر العاصمة؛ مديرًا لـ «مدرسة الشَّبيبة الإسلامية» للعام الدراسي (١٩٥٢م/ ١٩٥٣م).

✍ **مدرسة الشَّبيبة الإسلاميَّة (١٩٥٢م):**

«هي إحدى مدارس «جمعيَّة العلماء»، مقرُّها العملي ١٧ نهج «رامب فالي»

(١) الحسن فضلاء: «المسيرة الرَّائدة..» ـ القطاع الجزائري (٢/ ١٧).
(٢) [العدد ١٩١، ٢ رمضان ١٣٧١هـ، ٢٦ ماي ١٩٥٢م، ص٧].

ـ لوني أرزقي حاليًّا ـ، وقد تأسَّست إثر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين في سنة ١٩٣١م»[١]، كانت: «تشرف عليها جمعيَّة العلماء تحت نظر وتوجيه الدَّاعية الدِّيني الكبير الأستاذ الطَّيِّب العُقْبِي، ...اخْتير لإدارة هذه المدرسة الأستاذ محمَّد العيد آل خليفة»، كان افتتاحها: «في يوم ٢٧ رمضان ١٩٣٢م حيث حضر فيه الأساتذة: عبد الحميد بن باديس، الطَّيِّب العُقْبِي، محمَّد البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، أبو يعلى الزَّواوي... واستمرَّت مدرسة الشَّبيبة تؤدِّي رسالتها التَّهذيبيَّة، والتَّعليميَّة وتكون الأجيال..».

✍ **الشَّيخ «الطَّيِّب العُقْبِي»: الأب الرُّوحي لمدرسة الشَّبيبة الإسلاميَّة**[٢]:

إذا تحدَّثنا عن العاصمة، فإنَّه لا يسعنا إلَّا الحديث عن الدَّاعية المصلح الكبير الشَّيخ «الطَّيِّب العُقْبِي»، وإذا تحدَّثنا عن «مدرسة الشَّبيبة الإسلاميَّة»، فلابدَّ من الحديث عن الأب الرُّوحي لهذه المدرسة، ومن ظلَّ على مرِّ السِّنين يعتبر الموجِّه لها، على الرُّغم من أنَّ الشَّيخ «العُقْبِي» استقال ـ أو استعفى ـ من مجلس إدارة جمعيَّة العلماء سنة ١٩٣٨م، على إثر الخلاف الَّذي شبَّ بينه وبين بقيَّة الأعضاء، ولاسيَّما الرَّئيس «ابن باديس».

غادر «العُقْبِي» الجمعيَّة، وهو يعزُّ عليه ذلك، «فالجمعيَّة كوَّنها هو

(١) يقول د. أبو القاسم سعد الله: «**أفادني الشَّيخ بلقاسم رواق**، مدير مدرسة الشَّبيبة الحالي (أي سنة ١٩٧٥م)، أنَّ المدرسة كانت في البداية تقع بالباب الجديد في قمَّة القصبة، وإنَّ أوَّل مدير لها كان الشَّاعر محمَّد الهادي السَّنوسي»، «شاعر الجزائر محمَّد العيد»، (ص٣٣).

(٢) هذا الفصل ملخَّص من كتاب: «الطيِّب العقبي ودوره في الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة» لأحمد مريوش.

وإخوانه بـ«المبادئ والدَّعوة»»، وإنَّما كان مضطرًّا إلى ذلك، مجبرًا عليه لأسباب وظروف...

واحتفظ «العقبي» بعضويَّته في الجمعية.

والظَّنُّ به أنْ يقال: إنَّ استقالته «من منصبه قصد بها الحفاظ على كيان الجمعيَّة والحرص على قوَّتها، وبذلك تفادى الاصطدام المحتوم بينه وبين بعض أعضاء الجمعية».

وأمَّا دعاوى: أنَّه ضعف.. أو جَبُن.. أو خارت قواه.. أو خاف على نفسه وأولاده، وكان كثير العيال.. فليس بشيء، أمام ما عُرِفَ به «العُقْبِي» من تصلُّب في مواقفه، ولو كانت خطأً، وهو يراها صوابًا.. ولو وقف ضدَّه الجميع.. ولو أدَّت به إلى عواقب وخيمة!

وما يؤكِّد على أنَّ «العُقْبِي» لم يَضْعُفْ: متابعته لنشاطه الإصلاحي وإصداره لجريدة «الإصلاح» ثانية، واستمراره في الأعمال الدِّينيَّة والعلميَّة، وظلَّ «العقبي» يرابض بـ«نادي التَّرقِّي»، ويلقي دروسه ومحاضراته.

عَمَرت «الإصلاح» الثَّانية حوالي عشر سنوات، كانت كلُّها نضالًا إصلاحيًّا لخدمة القضيَّة الجزائريَّة، ويبدو أنَّ الإدارة الفرنسيَّة كانت من وراء توقُّفها في مارس ١٩٤٨م؛ لأنَّها أصبحت أكثر وضوحًا وأحدُّ لهجةً ضدَّ السِّياسة الفرنسيَّة، وذلك ما ترك معظم أعمدتها فارغة بسبب الرَّقابة الفرنسيَّة.

وما يمكن قوله أخيرًا: أنَّ المبادئ الإصلاحيَّة الَّتي دعا إليها «العُقْبِي» مبادئ شاملة دينيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة، وسياسيَّة.

✍ **الجمعيَّة الخيريَّة الإسلاميَّة:**

وقد عدَّ «العُقْبِي» من ثمار الإصلاح الاجتماعي وأهمِّ أركانه أعمال البرِّ ومشاريع الخير العامَّة، فأدرج في خطَّته الإصلاحيَّة مشاريع البرِّ والإحسان، فكانت «الخيريَّة الإسلاميَّة» جمعيَّة برٍّ وإحسان من ثمرات إصلاح العُقْبِي، ساهم في تأسيسها بعض أعيان العاصمة (سنة ١٩٣٣)، تعمل على إسعاف المعوزين من الأفراد والعائلات ماديًّا ومعنويًّا..»[١]؛ من تقديم وجبات غذائيَّة يوميَّة، ومن كسوة البائسين الصِّغار، وتوفير ماكنات الخياطة والتَّطريز للبنات المسلمات...

✍ **توجيه «العُقْبِي» لمدرسة الشَّبيبة:**

أسهم «العُقْبِي» في توجيه «مدرسة الشَّبيبة الإسلاميَّة»، أيَّام عضويَّته في «جمعيَّة العلماء»، وحتَّى بعد خروجه من إدارتها، فقد ترك بصمتَه على هذه المدرسة، «الَّتي أصبحت أكثر تبعيَّة لتوجيهاته، ففي سنة (١٩٤١) تمَّ الاتِّفاق بين الجمعيَّة الخيريَّة (الَّتي يرأسها «العُقْبِي») وجمعيَّة الشَّبيبة على تنسيق الجهود وذلك بقيام «الجمعيَّة الخيريَّة» بكفالة تلاميذ مدرسة الشَّبيبة وتقديم العون المادِّي والمعنوي لهم»[٢].

✍ **حركة شباب الموحِّدين:**

لم يتوقَّف نشاط العُقْبِي عند الجمعيَّة الخيريَّة ومدرسة الشَّبيبة، بل تعدَّاه

---

(١) «الطَّيِّب العقبي ودوره في الحركة الوطنيَّة الجزائرية» (ص٢٩٥).

(٢) «الطَّيِّب العقبي ودوره في الحركة الوطنيَّة الجزائريَّة» (ص٢٩٩).

إلى أوساط كلِّ الشُّبَّان الجزائريِّين، وكان من نتيجة ذلك الإصلاح ميلاد حركة شبَّانيَّة بنادي التَّرقِّي مع مطلع الخمسينات تسمَّى «شباب الموحِّدين المسلمين».

أمَّا تسمية هؤلاء الشَّباب بالموحِّدين فجاءت على لسان العُقْبِي، وهو الَّذي أسماهم بشباب الموحِّدين أي جند الله.

ويعود الفضل في تأسيس هذه المنظَّمة إلى نشاطات العُقْبِي خلال الأربعينات؛ وقد لخَّصت هذه «الجمعيَّة» أهدافها في هذه المعاني: ««**تعمل على جمع شمل الشَّباب الَّذي كادت أن تجرفه المفاسد على كلمة التَّوحيد كما يحبُّ الله ورسوله، وكلّ موحِّد لا يعبد الله على حرف (...) جمع كلمة الشَّباب على التَّوحيد الخالص الَّذي هو وحده الدَّواء لكلِّ أدواء الشَّباب، وما جعلت دعوتها التَّوحيد إلَّا بعد أن تبيَّنت بهداية مرشدها الأعظم العلَّامة العُقْبِي وأصحابه الميامين أنَّ تجديد هذه الملَّة لا يتأتَّى إلَّا على هدي منقذ البشريَّة من الضَّلالة محمَّد رسول ربِّ العالمين**»، وتعترف أنَّها حركة دينيَّة وتلتزم بالجهر بالحقِّ والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والتَّمسُّك بمبادئ الدِّين والبعد عن الرِّياء والنِّفاق»»[1].

**✍ صلة «بلقاسم» بالشَّيخ «العُقْبِي»:**

مبدأُ هذه الصِّلة يوم غادر الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» الجهة الغربيَّة من الوطن، وفارق «جمعيَّة العلماء»، بعد أن ساءت الأمور بينه وبين بعض رجالها

(١) جريدة «البصائر» السِّلسلة الرَّابعة، العدد: ٨٦، ١٩ ذي الحجَّة ١٤٢٢هـ/ ٠٤ مارس ٢٠٠٢م، ص١٠، مقال: «حركة شباب الموحِّدين من خلال جريدة القبس» للدكتور مولود عويمر.

ـ تمامًا كما حصل مع الشَّيخ «العُقْبِي» ـ، وحصل على إثر ذلك بينه وبينهم «جفوةٌ» و«تنافرٌ»، فكانت «القطيعة»؛ فاتَّجه رأسًا إلى «عاصمة الجزائر»، وبالتَّحديد إلى «نادي التَّرقِّي»؛ أين يرابض الشَّيخ «العُقْبِي».

عرف الشَّيخ «العُقْبِي» قدْر الشَّيخ «بلقاسم»، وأدرك قيمته، ومنزلته العلميَّة، ومقدرته الخطابيَّة، فولَّاه إدارة «مدرسة الشَّبيبة»، وهكذا انضمَّ «بلقاسم» لجماعة «نادي التَّرقِّي»[1]، وهو على رأس «الشَّبيبة»: تقرَّب كثيرًا من الشَّيخ «العُقْبِي»، فصار من أكثر النَّاس اتِّصالًا به، عاملًا إلى جانبه، وما من شكٍّ أنَّه اشترك معه مدَّة إقامته بالعاصمة في مجمل النَّشاطات الاجتماعيَّة والدينيَّة والثَّقافيَّة في «نادي التَّرقِّي»، والجمعيَّة الخيرية، ومدرسة الشَّبيبة.

كما ابْتعثَهُ «العُقْبِي» مرَّاتٍ ـ هُوَ وبعض رفاقه ـ للوعظ والإرشاد وإلقاء المحاضرات والدُّروس، في بعض مدن الوسط الجزائري، وضواحي العاصمة.

يذكر بعض معلِّمي «مدرسة الشَّبيبة» القدامى، الَّذين كانوا يعملون تحت إدارة الشَّيخ «بلقاسم»؛ وهو الأستاذ «محمد مختار اسْكندر»: أنَّه ذهب رفقة الشَّيخ «بلقاسم» عدَّة مرَّاتٍ إلى مدينة «الأربعاء» و«سيدي موسى» و«خميس الخشنة»، وفي بعض المناسبات، حيث ألقى الشَّيخ «بلقاسم» دروسًا عامَّةً.

ويذكر عنه أنَّهُ: «كان مثقَّفًا.. وله قيمته، واعتبارُهُ..»، وقال: «الحقيقة.. أنَّ الرَّجل متمكِّنٌ في علمه.. ومقتدرٌ على الخطابة، والمحاضرة..»[2].

---

(١) مقابلة شخصيَّة مع الأستاذ «محمَّد مختار اسكندر» في منزله بمدينة «المديَّة»، صبيحة السَّبت ١ جمادى الآخر ١٤٢٨هـ/ موافق ١٦/ ٠٦/ ٢٠٠٧م.

(٢) المصدر نفسه.

وقد أظهرت لنا جريدة «القبس» ـ لسان حال الموحِّدين ـ شيئًا من تلك الصِّلة، إذ نجد «بلقاسم» إلى جنب الشَّيخ «العُقْبِي» في توجيه شباب الموحِّدين، ومساندة حركتهم.

وسنذكر طرفًا من نشاطات الموحِّدين، إذ هو يعبِّر في الوقت نفسه عن نشاط «العُقْبِي» ونشاط «بلقاسم» وبقيَّة العلماء والأدباء، إذ كان أولئك الشَّباب تحت نظرهم وتوجيههم، ـ حفظتها لنا جريدة «القبس» [سنة ١٩٥٢م] ـ «وهي جريدة دينيَّة أدبية أخلاقيَّة واجتماعيَّة»، مقرُّها «نادي التَّرقِّي».

«**الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي الأب الرُّوحي للحركة:** نشرت الجريدة عدَّة مقالات عن الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي بيَّنت بوضوح مدى تأثيره على الحركة وشحذه لهمم الشَّباب على الدَّعوة.. نشرت الجريدة إعلانات تدعو النَّاس لحضور دروس التَّفسير الَّتي كان يقدِّمها الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي يوم الأحد بعد صلاة المغرب بـ«نادي التَّرقِّي»، بالإضافة إلى الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي، **نذكر علماء آخرين ساندوا حركة الشَّباب الموحِّدين بتوجيهاتهم ومساهماتهم، كالشَّيخ أبي القاسم الرواق..**»(١)

وعلى هذا، فيكون الشَّيخ بلقاسم من أصحاب الشَّيخ العُقْبِي، ولعلَّه كان من أخصِّهم، كما يكون ممَّن سانده في توجيه وترشيد هؤلاء الشَّباب.

كما كان الشَّيخ «بلقاسم» يشهد الاحتفالات الَّتي كانت تنظِّمها هذه الحركة، والَّتي كانت تُلْقَى فيها المحاضرات والقصائد، وتدعو إليها إلى جانب

---

(١) مقال: «حركة شباب الموحِّدين من خلال جريدة القبس».

الشَّباب بعض الشُّعراء والعلماء الجزائريِّين، «ذكرت الصَّحيفة أنَّ الحركة نظَّمت حفلًا بمناسبة يوم عاشوراء[1] **حضَره الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي والشَّيخ أبو القاسم ابن رواق..**»»[2].

كما كانت لهذه الحركة نشاطات ثقافيَّة دينيَّة، فقد كان لها نشاطات وآراء وانتقادات سياسيَّة، «انتقدت الاستعمار بأشكال مغايرة، هاجمت أوَّلًا أعوان الاستعمار من الإداريِّين والعلماء والسِّياسيِّين الجزائريِّين» الَّذين ينافقون الاستعمار في المواقف الفاصلة على حساب أمَّتهم المنكوبة بهم.. وتؤكِّد «القبس» أنَّ تساهل المسلمين «**فيما هو من لوازم التَّوحيد الأولى**» هو الَّذي أدَّى إلى التَّخلُّف وفتح الباب للاستعمار والاستعباد»[3].

ثمَّ نرجع لنقول: إن الشَّيخ «بلقاسم» استقرَّ بالعاصمة؛ مديرًا لمدرسة الشَّبيبة، بدايةَ عام: (٥٢م/ ٥٣م)، وبقي بها إلى أن اندلعت ثورة التَّحرير، في نوفمبر (٥٤م).

ولا شكَّ أنَّه مرَّ عليه من المحن والشَّدائد، وتجشُّم المتاعب والمشاق، ممَّا لا يدركه إلَّا من عاش تلك الأوضاع، وتجرَّع مرارتها، وسنقصر الحديث في ذلك على أمرين:

---

(١) كان المصلحون الجزائريُّون ـ وهم من المتأثِّرين بحركة الشَّيخ رشيد رضا ـ يعُدُّون مثل هذه الاحتفالات في المناسبات الدِّينيَّة من قبيل «البدعة اللُّغويَّة»، وهذا عند النَّظر والتَّحقيق مرجوح.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

١ ـ استمرار حالة اللَّا استقرار؛ من البعد عن الأهل والعيال، فإنَّه إلى هذا العهد، لم تحلَّ مشكلة الشَّيخ «بلقاسم»؛ فإنَّنا عهدناه ينتقل من مدرسة إلى أخرى: تاركًا عائلته بمدينة «بلعباس»، لا يزورهم إلَّا في أيَّام العطل؛ بدءًا بعَين تِمُوشَنْتْ، فمَغْنِيَّة[1]، وأخيرًا العاصمة، ولم تلحق به عائلته، فلا زال مشكل المسكن قائمًا، وزاد الأمر شدَّة اشتعال نار الثَّورة، ولم يجتمع شمله إلَّا عقيب «الاستقلال» (١٩٦٣م)، أو (٦٤م).

وقد نشر أخيرًا أحد تلامذة الشيخ «بلقاسم» في مدرسة الشَّبيبة شيئًا من ذكرياته عن أستاذه، وهو يتصفَّح كتاب: «سجل مؤتمر جمعية العلماء..» ، يقول: «..وكان أن قرأت تلك التَّقارير كلَّها مشدودًا إلى مواقف أولئك المجاهدين الحقيقيِّين الَّذين ازدهت بهم أرض الجزائر... أمَّا الخطبة القصيرة الَّتي جعلتني أقرأها مرَّات ومرَّات، فهي للأستاذ بلقاسم رواق، مدير مدرسة الشَّبيبة الإسلاميَّة الجزائريَّة، حيث كنت أزاول تعليمي ما بين١٩٥٣و١٩٥٧، أي في عزِّ الثَّورة الجزائريَّة، الصُّورة الَّتي تمثِّله تكشف عن إنسانٍ في شرخ الشَّباب، بنفس العزيمة الَّتي عرفتها فيه .. كان أهل الشَّيخ بلقاسم رواق يسكنون مدينة سيدي بلعبَّاس، وتصل أخبارهم إليه عبر البريد بين الحين والآخر.. »[2]

---

(١) من بين أهمِّ الأسباب في تنقُّل المعلِّمين ـ ومنهم بلقاسم ـ من مدرسة إلى أخرى: الخلافات بين هؤلاء، وبين الجمعيَّات المحليَّة «المتكفِّلة بمادِّيَّات المدارس»، وعدم الانسجام بين الطَّرفين ـ على ما ذكره الأستاذ الحسن فضلاء أحد هؤلاء المعلِّمين في مذكِّراته عن «مسيرة التَّربيَّة والتَّعليم الحرِّ في الجزائر».

(٢) مرزاق بقطاش: (تحية من القلب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، جريدة «الخبر» اليومية، السنة ١٨، العدد ٥٣٦٤، السبت ٥ جويلية ٢٠٠٨م، ص: ٢٧.

لقد كان الشَّيخ بلقاسم أثناء إقامته بمدرسة الشَّبيبة، يعلِّم بها ويسيِّر شؤونها نهارًا، ويرقد في أحد أقسامها ليلًا، فإذا طلع النَّهار طوى فراشه «المَطْرَح»، ولفَّه وأبعده إلى زاوية من زوايا القسم، هذه عيِّنة من الظُّروف الَّتي كان يعيشها مدير مدرسة الشَّبيبة.

كما لا ننسى ما مرَّ على عائلة «بلقاسم» من المحن، وضيق العيش... وإنَّ هذه الحال الصَّعبة الَّتي كان عليها «بلقاسم»؛ المعلِّم والمدير، لترجع بنا إلى كلمات الإمام الإبراهيمي الَّذي كان يسلِّيهم بها، ويخفِّف عنهم متاعب الحياة والكفاح في ظلِّ الاستعمار، قال في «حقوق المعلِّمين على الأمَّة» [١٩٥١م]: «..ونعني بالمعلِّمين هذه الطَّائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمَّة لغتهم، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه.. نعني هذه الطَّائفة الصَّابرة على مكاره الحياة كلِّها... **على ضيقٍ من العيش...فلا مسكن مريح، ولا شمل مجموع، ولا مرتَّب كافٍ يسدُّ الضَّرورة**(١) **ويقوِّي الضَّعف، ويخفِّف الهمَّ**.. هذه الطَّائفة هي عماد جمعيَّة العلماء في أجلِّ وظائفها وهي التَّربية والتَّعليم...**وإن كنَّا لا نخشى أن يفرُّوا منَ الزَّحف، ثقةً بهم،**

---

(١) ذكر الإمام الإبراهيمي في «مؤتمر جمعيَّة العلماء» ١٩٥١م، حين تلاوته للتَّقرير الأدبي لسير الجمعيَّة طيلة خمس سنوات، أنَّ: «عدد المعلِّمين بها ١٧٥ يتقاضون أجورًا لا تكاد تسدُّ الضَّروريَّات، ومبلغ هذه الأجور ٣٧ مليون فرنك في السَّنة، وهم إلى جانب هذا هدفٌ للطُّغيان والعدوان من لدن الاستعمار الَّذي يعاقبهم بالسِّجن والتَّغريم لأتفه الأسباب وبدون ذنب، ويحاكمهم كالمجرمين، في مجلس واحد ينادى على متَّهم بسرقة ومتَّهم بفتح مدرسة، وذلك في يوم الجمعة قصدًا...» [جريدة «المنار» ع٩، ص٢].

**واعتمادًا على متانة دينهم، وصدق وطنيَّتهم..»**. ما كان للشَّيخ «بلقاسم» وإخوانه أن يولُّوا الأدبار، وينكصوا على أعقابهم، ويجبنوا عند اللِّقاء، بل بقوا على العهد، الَّذي قطعوه على أنفسهم؛ إذ قال «بلقاسم» على لسانهم: إنَّهم «.. **ليعتبرون أنفسهم جنودًا للإسلام والعربيَّة، ويعيشون للإسلام ويموتون من أجله، غايتهم في هذه الحياة نشر العلم ومناصرة الفضيلة وإحياء ما انْدَثَرَ من تراث أسلافنا الأماجد والاعتزاز بالدِّين والعروبة والوطن»**.

وكأنَّ كلمات الشَّيخ العربي التَّبسِّي، ممثلة أمام أعينهم، منقوشة في قلوبهم، وذلك قوله رَحِمَهُ اللَّهُ في خطابٍ ارتجله: «يجب علينا أن نتعلَّم محاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب النَّاس، وقبل أن يحاسبنا النَّاس يجب علينا أن نكون أشدَّاء على أنفسنا حتَّى نستطيع أن نحتفظ بهذا الميراث العظيم، وأن نبلِّغه سليمًا لأبنائنا من بعدنا، يجب علينا ـ ونحن حاملوا راية الدِّين والقرآن ـ أن نكون أقوى روحًا، وأعظم همَّة، وأكثر تضحيَّة من أولئك المبشِّرين والمبشِّرات الَّذين هجروا الأوطان والصَّحب والخلَّان، وتركوا باريس ولندرة ولاهاي وغيرها يجوبون أقطار الأرض للقيام بدعوتهم، تاركين الدُّنيا وراء ظهورهم... ثمَّ قال: إنَّه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزَّوج والأبناء في وقت واحدٍ، إنَّه لا يمكن لإنسان أن يؤدِّي واجبه التَّام إلَّا بالتَّضحية»[1].

أمَّا الأمر الثَّاني ممَّا قصدنا الحديث عنه؛ فهو:

---

(١) «البصائر»، العدد (٢٠٤)، ٢٠ أكتوبر ١٩٥٢م، (ص١).

### ٢. مشاركته في الثَّورة؛ ثورة التَّحرير الجزائريَّة:

كان رجال الإمامين العظيمين: ابن باديس والإبراهيمي يؤمنون بالثَّورة ضدَّ الاستعمار، ويعملون لها، ويهيِّؤون أسبابها ويمهِّدون، وقد فكَّروا فيها قبل وقوعها بعشرات السِّنين، فوقفوا حياتهم على الإعداد لها، وتربية الأفراد والجماعات والأمَّة جمعاء على ما يؤهِّل للعبء الخطير.

وقد كان الإبراهيمي يقول عن تلك المدارس الَّتي كانت الأمَّة تشيِّدها وتؤسِّسها بمالها الخاصِّ تحت إشراف العلماء: «إنَّ هذه المؤسَّسات ستحتاج إليها الأمَّة في يوم من الأيَّام لمهمَّات فوق ما نتصوَّره الآن»، يقول الأستاذ حمزة بوكوشة معلِّقًا ـ وهو راوي هذا الكلام ـ: «وفعلًا عندما قامت الثَّورة قامت هذه المؤسَّسات بدور هامٍّ ويشهد إخواننا الفدائيُّون بذلك ولا ينبِّئك مثل خبير»[1].

وقد تنبَّأ بذلك علَّامة الشَّام بهجت البيطار حين قال ـ (في سنة ١٩٤٩م)؛ قبل قيام الثَّورة بنحو خمس سنوات ـ «أكان للنَّاس عجبًا أن يروا جمعيَّة العلماء الأبطال، يتقدَّمون صفوف الرِّجال الأحرار، مجاهدين في سبيل استرداد الحقِّ المغصوب ورفع شأن الوطن المحبوب»[2].

نعم، لقد أدَّى العلماء ما عليهم، وكانوا في طليعة المقاتلين، قد احتضنوا الثَّورة وكانوا إزاءها «كما قال فيهم مؤتمر الصُّومام «أمَّا العلماء فقد تقدَّموا بكلِّ شجاعة إلى الميدان من أوَّل لحظة»»[3].

---

(١) «الإمام الرَّائد: محمَّد البشير الإبراهيمي» جمع: الطَّاهر فضلاء (ص١٤١).

(٢) «الإمام الرَّائد:...» (ص١٦٠).

(٣) «مذكِّرات الشَّيخ خير الدِّين» (١/ ٤١٧).

وكما كان طلبة «معهد ابن باديس» في الطَّليعة، والتحقوا جميعهم بالثَّورة، كان على خطاهم بقيَّة مدارس جمعيَّة العلماء، ورجال الإصلاح في كلِّ مدينة وقرية.

ومن أعظم الأمثلة على ذلك: مدرسة «القلعة» الَّتي كان على رأسها أوَّلًا «الشيخ ابن عتيق» وحلَّ محلَّه بعده «الشَّيخ بلقاسم»، يحدِّثنا عنها وعن أهالي هذه القرية «أنصار الإصلاح»، فيقول: «وممَّن شهد بفضلها الشَّهيد [إن شاء الله] عمِيرُوش رَحِمَهُ اللهُ، فقد بعث إليَّ برسالة إلى «البليدة» سنة (١٩٥٥م)... جاء في هذه الرِّسالة التَّنويه بالعمل الَّذي قمت به[1]، وبالرُّوح النِّضاليَّة الَّتي برزت بوضوح في أهل القلعة عمومًا وفي تلامذة المدرسة خصوصًا، وقد قال في رسالته: «جئت إلى القلعة فوجدت القوم على أتمِّ الاستعداد لخوض معركة التَّحرير والالتحاق بالمجاهدين وبذل المال والرِّجال يا ليتنا عملنا على نشر هذه المدارس في الوطن إذًا لاسترحنا من كثير من المشاكل الَّتي تعترض سبيلنا اليوم»[2].

أثناء قيام الثَّورة كان الشَّيخ «بلقاسم» في الجزائر العاصمة، وقد قدَّم خدمات جليلة، وأبلى بلاءً حسنًا، ممَّا عرَّضه لمخاطر كثيرة، كادت تذهب بحياته، وكان جنود الاستعمار يلاحقونه، ويتابعونه، وقد اختبأ، وجعل يتنقَّل من مكان لآخر، وقد حدَّثتني زوجه ـ أحسن الله ختامها ـ: أنَّه كان يؤدِّي عمله صباحًا بالشَّبيبة، ويذهب مساءً إلى «الخيريَّة» ـ الجمعيَّة الخيريَّة الإسلاميَّة[3]ـ.

---

(١) [وقام به ـ كذلك ـ إخوانه المعلِّمون والمصلحون ومن أبرزهم الشَّيخ «بلقاسم»].

(٢) «مذكِّرات ابن عتيق» (ص٧٧).

(٣) وقدْ تابعت هذه نشاطها مع بداية الثَّورة (إلى حين قنبلت العمارة الَّتي بجوارها، تلك العمارة الَّتي لجأ إليها «علي لَابْوَانْتْ وحسيبة بن بوعلي» فتأثَّر مبناها وتوقَّف عملها فأصبحت بلْقعًا يبابًا»، عن الحسن فضلاء: «المسيرة الرَّائدة..» (٢/ ٤٦).

لا نعلم تفاصيل ما كان يقوم به الشَّيخ، وقد دوَّن الكثيرون أعمالهم في الثَّورة وتكلَّموا عن مشاركاتهم، غير أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» الَّذي عمل العمل خالصًا ـ كما هو الظَّنُّ فيه ـ لأجل دينه ووطنه، ووفاءً بالعهد الَّذي قطعه على نفسه، وأمام شيخه الإمام ابن باديس، أنَّه يعيش للإسلام وللدِّفاع عنه في الوطن المحبوب، فلمَّا جاء أوان التَّضحية الكبرى، لم يجبنْ ولم يتقهقر، لم يكن الشَّيخ ليبرز نفسه، فيقول: عملت كذا وكذا، وكان من شأني كذا وكذا، ونحسب أنَّ سكوته هذا، من علامات إخلاصه وصدقه، وأنَّه لا يريد جزاءً من أحد ولا شكورًا، ولا يريد ثمنًا ولا مقابلًا، عن أعمال يعدُّها من واجبات دينه، ولا يرتضي شهادة من أحد، ولا أن يعرف به أو ينوّه بشأنه، ويكفيه أنَّ الله اطَّلع عليه وعرفه، هذا موقف من مواقف تلك النُّفوس الَّتي ربَّاها الإمام الرَّبَّاني ابن باديس، وعلَّمها كيف تضحِّي في سبيل الإسلام في هذا الوطن حِينَ يَحِينُ وقت التَّضحية في سبيله.

✍ **إنتاجه الكتابي:**

للشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» إنتاجٌ أدبيٌّ وعلميٌّ؛ منثورٌ في الصُّحف، وقد وقفت له على مقالات، جاوزت إلى حدِّ الآن: عشرين مقالة، منها ما نُشِرَ على أجزاء عدَّةٍ.

✍ **في مجال الشِّعر:**

وبمناسبة الحديث عن إنتاجه الكتابي والأدبي ـ على الخصوص ـ، نعرض لمشاركة الشَّيخ «بلقاسم» في مسابقة تشطير بيتين من الشِّعر، نظمتها «البصائر».

وجاء في [العدد: (٩٩)، ص٣]، تعيين الجائزتين للفائز الأوَّل والفائز الثَّاني، «وقرَّرت أن تكون الجائزة الأولى هي: «صيانة الإنسان»، هديَّة من مدير الجريدة الشَّيخ مبارك الميلي..».

ونشر في [العدد: (١٠٠)، ١٧ ذي الحجة ١٣٥٦هـ/ ١٨ فيفري ١٩٣٨م، ص٢]: تعيين الفائزين في تشطير «بَيْتَي الوعود».. حيث «اجتمعت اللَّجنة الأدبيَّة لفحص التَّشاطير، وتعيين المجلين فيهم؛ واختيار الفائزين من بينهم.. **وفاز بالجائزة الأولى الشَّيخ بلقاسم بن ارواق رقم (١٨) للرُّوح الشِّعريَّة المتجلِّية في أشطاره وهي كتاب «صيانة الإنسان»...».**

**✍ بعد الاستقلال:**

استمرَّ الشَّيخ بعد الاستقلال على رأس إدارة «مدرسة الشَّبيبة»(١)، حيث بقي فيها مديرًا إلى أن أحيل على التَّقاعد سنة (١٩٨١م).

**✍ نشاطه بعد الاستقلال:**

وإلى جانب العمل في إدارة المدرسة، واصل الشَّيخ رسالته التَّعليميَّة، من خلال المسجد.

اتَّجه الشَّيخ إلى هذا الميدان الأصيل، وقام على هذا الواجب الكفائي، واختار له «مسجد الشُّهداء»، وهو مسجد صغير جدًّا: عبارة عن دار، ليست

---

(١) قال د. أبو القاسم سعد الله في آخر كتابه «شاعر الجزائر: محمَّد العيد»، (ص٢٨٠): «المقابلات والمراسلات: ...**رواق، بلقاسم** حديث خاص معه بتاريخ ١٩ مارس ١٩٧٥، **والشَّيخ رواق من تلاميذ ابن باديس ومن أتباع العقبي**، ويعمل حاليًّا مديرًا لمدرسة الشَّبيبة منذ ١٩٥١» اهـ، تقدَّم قريبًا، أنَّه كان في هذا التَّاريخ لا يزال على رأس مدرسة «مغنيَّة»، والله أعلم.

بالسَّعة الَّتي يجتمع فيها عدد كبير من النَّاس، كانت تحت سكنى «محمد السَّعدي»، أو هي الجزء الأسفل من مسكنه، فحبَّس هذا الجزء مسجدًا، يقع على مقربة من حيِّ السَّيِّدة الإفريقيَّة «ربوة «مَدَامْ لَافْرِيكْ»»، وكان ذلك في: (٢٧ رجب ١٣٨٢هـ الموافق لسنة ١٩٦٣م)، وأطلق عليه اسم «مسجد الشُّهداء»، كما هو منحوت في أعلى بابه.

بدأ الشَّيخ «بلقاسم» نشاطه بهذا المسجد من أوَّل يوم، فهو أوَّل إمام له، وإنَّ هذا الحيَّ وفوقه «حي الزّغارة»، الَّذي كان لذلك العهد عبارة عن غابة، ولا يقطنه إلَّا قلَّة قليلة من السُّكَّان، ولعلَّ «مسجد الشُّهداء» كان أوَّل مسجد يؤسَّس في تلك الجهة المرتفعة «الرَّبوة»؛ «ربوة «مَدَامْ لَافْرِيكْ»»؛ الَّتي يقع أسفلَ منها حي باب الوادي، لتؤسَّس بعده عدَّة مساجد.

**✍ أوَّل درس بمسجد خالد بن الوليد:**

وينعم هذا الشَّعب المكافح بحريَّته واستقلاله، ولم يمضِ أكثر من عام، ويتنافس أبناء الأمَّة ورجالها إلى بناء المساجد، ورفعها في كلِّ محلَّة ، وفي كلِّ حيٍّ، وبعد «مسجد الشُّهداء»، ينهض أهل حيِّ «السَّيِّدة الإفريقية» «ربوة «مَدَامْ لَافْرِيكْ»» أو ما يعرف الآن بـ «حي ديار الخلوة»، الَّذي لا يبعد كثيرًا عن مسجد الشُّهداء، إلى بناء مسجدهم، «مسجد خالد بن الوليد» ـ فتح أواخر سنة ١٩٦٤م ـ ولقد حدَّثني العم «مصطفى بن عاشور» ـ من سكَّان الحيِّ القريب من مسجد الشُّهداء المعروف بـ «قرية ماري» وينطقها النَّاس بالفرنسيَّة، وهو من طولقة ـ حدَّثني أنَّ أوَّل درس أُلقي في مسجد «خالد بن الوليد»، دُعِي إليه

الشَّيخ بلقاسم، فلبَّى الدَّعوة، ودرَّس الحاضرين، وكانت بمثابة الانطلاقة لهذا المسجد في أداء رسالته، وحدَّثني الأستاذ «صلاح» عن ذلك ـ وقد كان أوَّل رئيس للجمعيَّة الدِّينيَّة، الَّتي سهرت على تأسيس «مسجد خالد» ـ، قال: «..لمَّا افتتحنا «مسجد خالد بن الوليد»، دعوت الشَّيخ بلقاسم بن ارواق..» وذكر جماعة من الشُّيوخ غيره.

✍ **دروس مسجد الشُّهداء:**

شرع الشَّيخ يلقي الدُّروس بهذا المسجد، خلال أيَّام الأسبوع، مع خطبة الجمعة، ويبدو أنَّ صِغَرَ المسجد، وموقعه في تلك النَّاحية، الَّتي ـ كما أسلفنا ـ لم يَكُنْ سكانها بالكثرة الَّتي آلت إليها بعد، وقلَّة من يحضر، جعلت الشَّيخ ينقطع عن تلكم الدُّروس [كما حدَّثني بذلك ولد محمَّد السَّعدي: العم حسين، وكان لذلك العهد في مقتبل العمر صغير السِّنِّ، وقد حدَّثني ببعض ما عَلِقَ بذاكرته وهو قليل، وأرجع سبب ذلك أنَّ الشيخ لم يَعُدْ يأتيهم كالسَّابق إلَّا يوم الجمعة وليالي رمضان، فلا يعلم عنه إذن إلَّا القليل]، اكتفى الشَّيخ ـ إذن ـ بالتَّدريس يوم الجمعة مع الخطبة.

ولقد كان من دروسه [يحدِّثنا العمُّ حسين] درسٌ في الحديث في شرح أحاديث «رياض الصَّالحين» للإمام النَّووي [وهو مفيد نافع للغاية بالنِّسبة للعامَّة والخاصَّة] ودرَّسهم في السِّيرة النَّبويَّة.

ولقد حدَّثني أيضًا أنَّ الشَّيخ بلقاسم كان في دروسه هذه مثلًا قلَّ نظيره في ذاك الزَّمن، لم يعهد في كثير من الخطباء والمدرِّسين؛ يقرِّر حقائق الدِّين بأدلَّتها، ويشرح الأحكام ويعلِّم السُّنن، من ذلك: حرصه على تعليم روَّاد مسجده صفة

الصَّلاة بنفسه، فذكر لي: «أنَّه كان يقوم أمامنا، ويرينا جلسة الصَّلاة، ويعلِّمنا الافتراش والتَّورُّك.. وغير ذلك، نأخذها منه بالمشاهدة».

لم يخرج «بلقاسم» عن طريقة «الجمعيَّة» ـ الَّتي كان أحد روادها، وقائدًا من قادتها، وتلميذًا وفيًّا لشيوخها، وعى عنهم توجيهاتهم ـ في التَّعليم المسجدي، (في الوعظ والتَّذكير)، والَّتي جاء تحديدها بقلم الإمام الإبراهيمي؛ إذ قال: «أمَّا في المساجد فطريقة الجمعيَّة في الوعظ والتَّذكير هي طريقة السَّلف؛ تذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجلي عبره، وبالصَّحيح من سنَّة رسول الله، تبينها وتنشرها، وبسيرته العمليَّة، تجلوها وتدلُّ النَّاس على مواضع التَّأسِّي منها...»[1]، «وأسلوب الجمعيَّة في التَّعليم الدِّيني في المساجد على إطلاقه العناية بالمعنى والنُّفوذ إلى صميمه من أقرب طريق يؤدِّي إليه، **وتجليته للسَّامعين بالصُّور العمليَّة التَّطبيقيَّة**..»[2].

وكما كانت عناية الشَّيخ بكتب الحديث، فإنَّه قد كان أوَّل اهتمامٍ له تدريس القرآن وتفسيره، على طريقة المصلحين من رجال «جمعيَّة العلماء» وتلامذة الإمام، «من التَّذكير بالكتاب والسُّنَّة»، وبناء الوعظ عليهما.

سار بلقاسم على طريقة «جمعيَّة العلماء»: «الَّتي قربت ما بين الأمَّة وقرآنها»[3]، واقتداءً بأستاذه، وسيرًا على منهاجه، فقد أعطى عنايةً بالقرآن، وشرع في تفسيره في «مسجد الشُّهداء» من أوَّل عام.

---

(١) «سجل مؤتمر جمعية العلماء..» (ص٦٤).

(٢) «السِّجل» (ص٦٥).

(٣) «آثار الإبراهيمي» (١/ ٣١٩).

كما دأب على المحافظة على وظيفة «جمعيَّة العلماء» الَّتي ورثها عنها، وهي دروس الوعظ في شهر رمضان، فاستمرَّ على هذه الوظيفة، وخصَّ ليالي هذا الشَّهر الكريم بدروس التَّفسير، قبل صلاة العشاء، ثمَّ يقوم يصلِّي بهم، ويؤمُّهم كذلك في صلاة القيام «التَّراويح».

ولا شكَّ أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» تأثَّر كذلك بأستاذه «العقبي»، فقد «كان جناح واسع في نادي التَّرقِّي قد جعل مسجدًا تُقام فيه الجماعة في بعض الأوقات، وفي رمضان تصلَّى فيه التَّراويح كلَّ ليلة، يؤمُّ المصلِّين الشَّيخ العقبي، ويصلِّي بهم التَّراويح بالقرآن من أوَّله ويختمه في آخر ليلة من رمضان، وبعد التَّراويح درس الشَّيخ العُقْبِي في التَّفسير كلَّ ليلة في النَّادي، هذا هو نظام شهر رمضان الَّذي يكتظُّ فيه النَّادي كلَّ ليلة للصَّلاة وسماع درس التَّفسير العظيم»[1].

وحدَّثني العمُّ حسين: أنَّه كان يدرِّسهم من تفسير «المنار» للشَّيخ رشيد رضا، وإنَّ في اختياره لهذا الكتاب، لجريًا منه على طريقة جمعيَّة العلماء، وطريقة الإمام ابن باديس، فإنَّ منهجيَّة الشَّيخ رشيد رضا وطريقته، **لتتطابق في الغالب وفي المنهج العامِّ** مع منهجيَّة وطريقة أئمَّة النَّهضة في الجزائر، ابن باديس، والعُقْبِي، والإبراهيمي[2]، فإنَّ الشَّيخ رشيد كان بمنزلة الإمام لرجال الإصلاح في الجزائر، ولذلك كان «تفسير الإمام ابن باديس» ـ في وصف الإبراهيمي ـ على

---

(١) محمَّد علي دبوز: «نهضة الجزائر» (٢/ ١١٦).

(٢) اعتمد كلٌّ من العُقْبِي في «بسكرة» والإبراهيمي في «تلمسان» على «تفسير المنار».

طريقة الشَّيخ رشيد، ونسجًا على منواله[1].

ولا أدري إن كان يقرأ فيه للنَّاس، ثمَّ يلخِّص مضمونه ويشرح معانيه بأسلوبه، ليتوافق مع إدراك الحاضرين، أم كان فقط يعتمد عليه في تحضيره لمادَّة درس التَّفسير، والأخير هو الأظهر، والله أعلم.

لقد استمرَّ الشَّيخ بلقاسم على هذه الدُّروس طيلة السَّنوات الَّتي بقيها في «مسجد الشُّهداء»، ولقد حفظ لنا العمُّ «حسين» بن «محمَّد السَّعدي» بعض هذه الدُّروس، فقد قام «الحاج محمَّد» بتسجيلها، ومن ذلك:

مجالس في تفسير «سورة النِّساء» [يُفترض أنَّها ألقيت وسجِّلت في أواخر السَّبعينات]، وعلى هذا يكون الشَّيخ قد ابتدأ دروس تفسير القرآن من أوَّل المصحف؛ ففسَّر الفاتحة ثمَّ البقرة ثمَّ آل عمران، إلى أن وصل إلى «سورة النِّساء»؛ إلى منتصفها، في هذا العام من أواخر السَّبعينات.

كما حفظ لنا ولد الشَّيخ الأصغر «عبَّاس» مجموعة أخرى من هذه المجالس «مجالس التَّفسير في رمضان» لسنة (١٩٨٥م)، وكانت في تفسير أواخر سورة يوسف، وأوائل سورة الرَّعد، نحوًا من ثلاثين (٣٠) مجلسًا، فيكون الشَّيخ قد واصل على نفس الوتيرة يفسِّر آيات وسور القرآن، إلى أن وصل في هذه السَّنة إلى هذا الموضع من سورة «الرَّعد».

كما وجدت من بين الدُّروس المسجَّلة الَّتي حفظت بصوته، مجلس في تفسير آيات من سورة «التَّوبة»، لم يسجَّل عليه التَّاريخ.

(١) «الآثار» (١/ ٣٢٧).

## ✍ أسلوب الشَّيخ وطريقته في التَّدريس:

قبل أن أتحدَّث عن طريقة الشَّيخ في دروس التَّفسير هذه، لابدَّ أوَّلًا أن أعرِّج على طريقة الإمام ابن باديس، والَّتي لا يساورني شكٌّ في أنَّ التِّلميذ «بلقاسم» تأثَّر كثيرًا بطريقة شيخه، فاقتفى أثره، واتَّبع طريقته، إن لم يكن ذلك في كلِّ شيء، فلا أقلَّ من أن يكون حذَا حذوه في ما ارْتَسَمَ في عقله، من بقايا ذاك العهد البعيد، وفيما يتناسب مع الحال الحاضرة، فليس حضور الإمام ومستمعوه أمسِ، هم كحضور ومستمعي «بلقاسم» الآن.

يحدِّثنا أحدُ تلاميذ الإمام عن «درس التَّفسير»، فيقول: «..هو درسٌ عامٌّ، يحضره إلى جانب الطَّلبة جمهور كبير، ويقع يوميًّا بعد صلاة العشاء في «الجامع الأخضر» ما عدَا يوم العطلة الأسبوعيَّة، تدوم حصَّة الدَّرس ساعة واحدة في الغالب، أو تقلُّ عنه تارة.. كان الشَّيخ ابن باديس يستهلُّ درس التَّفسير بما كان يستهلُّ به النَّبيُّ ﷺ خطبه [الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، «أمَّا بعد فإنَّ أحسن [أصدق] الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمَّد...»، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار](١)، ثمَّ يأخذ في تلاوة الآيات الَّتي يريد تفسيرها من حفظه، وبعد ذلك يشرع في التَّفسير بلغةٍ عربيَّةٍ فصيحة،

(١) الصَّالح رمضان: «العقائد» (ص٢٣). وقال: «هذا ما حفظناه عن أستاذنا الإمام.. وقد كان يفتتح به دروس التَّفسير العموميَّة كلَّ ليلة طيلة السَّنوات الَّتي قرأناها عليه، رحمه الله ورضي عنه».

وبأسلوبٍ غايةٍ في الوضوح، يركِّز فيه على استجلاء المقاصد والعبر وكثيرًا ما ينزل معاني الآي على ما تنطبق عليه من أحوال المجتمعات الإسلاميَّة، أو البشريَّة، في العصر الرَّاهن ويجري المقارنة الملائمة بين الماضي والحاضر، مع الإشارة إلى أسباب النُّزول عند الاقتضاء..»[1].

وإذا كانت هذه هي طريقة الشَّيخ ابن باديس، فإنَّ الشَّيخ العقبي كذلك، قد انتهج المنهجيَّة نفسها، وسلك الطَّريقة ذاتها، وقد شهد من استمع إلى الشَّيخين، بأنَّ: «تفسير العقبي للقرآن كان يتشابه إلى حدٍّ كبير مع تفسير ابن باديس»[2]، كما نقل لنا من حضر إلى «العُقْبِي» في مجالسه العامَّة، واستمع إلى «درسه السَّلَفِي» في بسكرة، صورةً عن طريقة الشَّيخ؛ فقال: «افتتح الأستاذ العقبي التَّدريس بحديث: إنَّ أصدق الحديث كتاب الله ﷻ وخير الهدى هدى محمَّد وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة وكلَّ ضلالة في النَّار، ثمَّ أخذ يفسِّر قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ...﴾ إلخ»[3].

وإنِّي إذا جِئْتُ أصف طريقة الشَّيخ «بلقاسم» فإنِّي لا أجد إلَّا أن أنقل تلك الفقرة المتقدِّمة، عن الإمام ابن باديس؛ فقد نهج بلقاسم الطَّريقة ذاتها، حيث كان يفتتح الدَّرس بخطبة النَّبيِّ ﷺ، الَّتي كان يقدِّمها بين يدي كلامه، والَّتي تُعرف عند أهل العلم بـ «خطبة الحاجة»، ثمَّ يقرأ بلقاسم الآيات الَّتي

(١) علي مرحوم: مجلَّة «الأصالة»، س٤، ع٢٤، «لمحات من حياة الشَّيخ» (ص٩٦ ـ ٩٧).

(٢) انظر: «العقبي ودوره في الحركة الوطنية» (ص٨٩).

(٣) «الشِّهاب»: العدد(٨١)، ص٥ ـ ٧، (جانفي ١٩٢٧م).

يريد تفسيرها بتأنٍّ وترسُّل، ثمَّ يشرع في التَّفسير، ويقف عند الآيات جملةً جملةً يوضِّح معناها، ويبيِّن مقصدها، ويشرح الغريب من كلماتها، بأسلوب واضح، وفصاحة عربيَّة ، سهلة التَّناول، قريبة إلى أفهام النَّاس على اختلاف مستوياتهم، لم يكن يشقِّق فيها العبارات، ولم يكن يأتي بما يُشْكِل على السَّامع وعيُه، أو يعسرُ عليه فهمُه، معرضًا «عن اللَّفظيَّات والخلافات وكلِّ ما يشوِّش أو يَبعد عن تصوُّر المعنى المقصود»(1)، بل كان ناجحًا إلى حدٍّ بعيد في الإفهام وإن لم يتنزَّل إلى الكلام بالعاميَّة، «وإن كان يمزج لغته أحيانًا بالدَّارجة زيادةً في الإفهام».

[وهذا ما أكَّده لي الأستاذ «صلاح»، قال: كان الشَّيخ بلقاسم فصيح اللِّسان، فيه صورة مصغَّرة من الطَّيِّب العقبي، والجماعة من ناحية الصَّحراء، فيهم هذه الظَّاهرة؛ ظاهرة فصاحة اللِّسان، دروسه كلُّها يلقيها بالعربيَّة الفصحى، لكنَّها بسيطة (؟) يفهمها العوامُّ، لم يكن يصعد بها إلى مستوى الخواصِّ... كان فقيهًا أديبًا، من رجال العلم والأدب الَّذين خسرتهم الجزائر](2).

إنَّ طريقة الشَّيخ بلقاسم هذه، قد راعى فيها مستوى السَّامعين، وكما أشرنا سابقًا، فإنَّه في ذاك الزَّمان لم يكن روَّاد المسجد بالعدد الكثير، كما لم تكن فئة الشَّباب لذلك العهد بالكثرة الَّتي هي عليه الآن، ولأجل ذلك كما أشرنا

---

(1) «السِّجل» (ص٦٥)، وانظر فيه: تحديد الإبراهيمي أسلوب الجمعيَّة في التَّعليم الدِّيني المسجدي.

(2) المقابلة الثَّانية مع الأستاذ «صلاح»، بتاريخ ٧ رجب ١٤٢٨هـ.

أيضًا انقطع الشَّيخ عن الدُّروس خلال الأسبوع؛ لأنَّه لم يجد من يحضرها، فاكتفى باجتماع يوم الجمعة وليالي رمضان.

وإنَّه لا يفوتني هنا إلى الإشارة إلى أسلوب الشَّيخ «بلقاسم» في التَّدريس، وإلى طريقته في الكلام، إذ تجده ينطلق في فصاحة عربيَّة، ولهجة صحيحة، وصوت خطابيٍّ قويٍّ، مع أنَّك تستمع إلى شيخ بلغ منه الكبر مبلغًا؛ فقد جاوز السَّبعين سنة، وأنهكت قواه الابتلاءات الشَّديدة الَّتي مرَّت عليه، والمصاعب الَّتي تخطَّاها كلَّها شأن المؤمن القويِّ، وما أصدق هذا الوصف عليه ممَّا وصف به الإبراهيمي رجال الإصلاح بقوله: «وللجمعيَّة ـ من فضل الله ـ **ألسنةٌ سيَّالة**، ومحاضرون قد بلغوا الغاية، **فصاحةً ورباطةَ جأش، ونصاعةَ لفظ**، وتفنُّنًا في المواضيع وملكًا لها، و**متانةَ إلقاء**»[1].

### ✍ نشاط الشَّيخ:

ويظهر أنَّ الشَّيخ كان «منعزلًا» نوعًا ما، فإنَّنا لم نجد له في هذا العهد نشاطًا بارزًا من مثل الكتابة، وتحرير المقالات في المجلَّات الَّتي كانت تصدر في ذلك الحين، ولا غشيان المجالس والمجتمعات ـ أعني النَّدوات والمشاركة في إلقاء المحاضرات ـ كما دأب عليه الكثير من تلاميذ ابن باديس، ورجال «جمعيَّة العلماء»، ولا نعني بانعزاليَّته انعزاله عن النَّاس، فإنَّه كان في نشاط دائب، وعمل متواصل؛ يعظ ويدرِّس ويعلِّم، ويلبِّي الدَّعوات الَّتي تأتيه من هنا وهناك، وينتقل من بلدة إلى أخرى، استجابة لطلب أهلها، يلقي درسًا جامعًا في

(١) «السِّجل» (ص٦٦).

مسجدهم.. واستمرَّ على هذه الحركة إلى أن كبرت سنُّه، وما عادت تُسعفه قواه، فاكتفى بمسجد الشُّهداء، الَّذي لم يقدر على مفارقته بعد كلِّ تلك السَّنوات الطِّوال، ولعلَّه لأجل هذه الانعزاليَّة، وإيثار العمل دون بروز، لم نجد ذكرًا للشَّيخ، ممَّا يطرح علينا تساؤلات كثيرة: أين تلاميذ الشَّيخ الَّذين يذكرون به؟ وأين إخوانه وأصدقاؤه ومعارفه الَّذين يحيون ذكره، ويجدِّدون العهد به، ويعرفون به للأجيال الحاضرة والقادمة؟.. لم نجد من ترجم للشَّيخ، أو نوَّه بأعماله، لا أقول بعد الاستقلال، بل بنشاطه وجهاده التَّعليمي وإسهامه الكتابي في إطار «جمعيَّة العلماء».. وحتَّى سلسلة «من أعلام الإصلاح في الجزائر» للأستاذ محمَّد الحسن فضلاء، الَّذي حوى الكثير من تراجم الشَّخصيَّات العلميَّة والأدبيَّة، من رواد «جمعيَّة العلماء» وغيرهم، من السَّابقين واللَّاحقين، ..لا يذكر «بلقاسم بن ارواق»!!!...، وتأتي الكثير من المناسبات... وقد ينفض في بعضها غبار النِّسيان عن بعض الوجوه، الَّتي من حقِّ الأجيال ألَّا تنساها، وتغفل ذكرها... إلَّا أنَّ «بلقاسم» لايزال في قائمة المنسيِّين!!!...

✍ **دسائس ومؤامرات.. مكائد وإذايات:**

نعم.. هذا هو الجواب عمَّا كنت ألقيته من تساؤلات واستفسارات، إنَّ الشَّيخ بلقاسم بن ارواق، تعب نفسيًّا كثيرًا، ـ يحدِّثني صديقه الأستاذ «صلاح مؤيد العُقْبِي»؛ وهو الذي كان يتَّصل به الشَّيخ بلقاسم، ويطلب مؤانسته، ليخفِّف من تعبه، وينفِّس عمَّا اعتلج صدره من هموم، وينفِّس عن خاطره، ويبثّ إليه ما ضاق عليه صدره، ويفضي إليه بمعاناته، فكانت تلك الجلسات

والمسامرات مُذهبةً لشيءٍ من قلقه ومسلِّية لهُ ـ تعذَّب في معاملة رجالٍ وجماعة ... عذَّبوه نفسيًّا؛ بهضم حقوقه، وظُلِم ولم يُنصَف، وقال فيه: «الشَّيخ بلقاسم بن ارواق.. لا يتَّهم في إخلاصه؛ مخلص للإسلام.. مخلص للعروبة.. مخلص للعلم.. مخلص للعلماء... لكن تعرَّض للظُّلم، مِنْ قبل أولئك الجماعات...»، «آذوه، وانتقموا منه انتقامًا كبيرا...»، «الخلاصة: هو شخص نزيه عالم فاضل ورع تقيٌّ مظلوم، ظلمه رجال.. وأخذوا له حقَّه و**وقع له ما وقع للشَّيخ العُقْبِي** وأمثاله»، «كان مخلصًا للشَّيخ ابن باديس، ويثني على شيخه.. إنَّهم يحاربون العناصر الكُفْؤة حتَّى لا تزاحمهم.. فهؤلاء لا يدركون منزلتَه، لا في فصاحة، ولا تمكُّن من علم..»، «شهادتي فيه: رجل محترم، رجل مخلص، ووالله بريءٌ من كلِّ التُّهم»[1].

وقال: «الشَّيخ بلقاسم نكب كثيرًا.. وكان يتعب كثيرًا.. كنت أتعجَّب من هذا الجسم كيف يصبر.. كان متخلِّقًا بالصَّبر، صبورًا على محن الدُّنيا ومصائبها.. صبر على الجماعة الَّذين آذوه.. وصبر على مُصابِه في بعض أولاده..»[2].

### ✍ خطب الشَّيخ بلقاسم:

لقد كان الشَّيخ بلقاسم خطيبًا من الخطباء الَّذين خرَّجتهم مدرسة ابن باديس، وجمعية العلماء، ولقد ملك من الوسائل ما جعله كذلك؛ خطيبًا بليغًا، لما كان عليه من المستوى العلمي المتين، ولما انطبع عليه من طابع الأدب، وإتقان

---

(١) المقابلة الأولى مع الأستاذ «صلاح»، بتاريخ ٥ رجب ١٤٢٨هـ.

(٢) المقابلة الثَّانية مع الأستاذ «صلاح»، بتاريخ ٧ رجب ١٤٢٨هـ.

العربيَّة، وتذوُّق جمالها.

أمَّا خطب الشَّيخ الجمعيَّة، فكانت محرَّرة بقلمه، ضمَّنها نصحًا خالصًا، ومعالجة لواقع مجتمعه، ولا زالت خطب الشَّيخ بلقاسم محفوظة ضمن أوراقه، شاهدة على تلك الأيَّام الَّتي وقف فيها يعالج أدواء النَّاس، ويشخِّص عللَهم، ويصف ما يكون به ـ بعون الله ـ شفاؤهم.

كما كان الشَّيخ بلقاسم خطيب الجماعة في الأعياد، حيث يجتمع المصلُّون من عدَّة مساجد في مصلَّى العيد «بطحاء بالقرب من مسجد الشُّهداء»، يأتون من الحي الفوقاني «مسجد خالد بن الوليد» ومن الحي التَّحتاني «مسجد بلال ابن رباح[1]»، ويؤمُّ الجميع الشَّيخ بلقاسم، فيتوحَّدون على سماع موعظته يوم العيد، وقد سهل اجتماعهم، لما عرفنا قريبًا أنَّه في ذاك الزَّمان، كان سكَّان تلك «الرَّبوة» أقلّ ممَّا هم عليه الآن، كما لا يختلفون في إمامة الشَّيخ بلقاسم.

✍ **حجَّات الشيخ:**

وفَّق الله ـ جلَّ وعلا ـ الشَّيخ بلقاسم، ويسَّر له السَّفر إلى البقاع المقدَّسة؛ مهبط الوحي ومأرز الإيمان؛ لأداء فريضة الإسلام، عام ١٩٧٦م، ثمَّ وفَّقه مرَّة أخرى للحجِّ عام ١٩٧٩م.

✍ **تركة الشَّيخ:**

لقد كانت ثروة الشَّيخ الَّتي جمعها، وقضى شبابه في سبيلها، هي ميراث

---

(١) ترأَّس الشَّيخ ـ عمليًّا ـ الجمعيَّة الدِّينيَّة لهذا المسجد، في السَّنوات الأولى، وقد تأسَّس في أواخر السَّبعينات.

العلم، وجمع دواوينه، كانت بالنِّسبة إليه أعظم الكنوز، لا يفتر عن مطالعتها، والنَّظر فيها، تعوَّد ذلك من زمان انضمامه للدَّعوة الإصلاحيَّة، وانخراطه في سلك جنودها، فنفخت فيه روح المطالعة والقراءة والكتابة والبحث، وعندما قارب الشَّيخ الوفاة، ما وسعه إلَّا أن يذكِّر ولده بقيمة «المكتبة» الَّتي جمعها، وضمَّتها جدران غرفته، فقال له يشير إليها: «**أكبر كنزٍ تركتُه لكم**..»، وإن لم تكن مكتبته كبيرةً إلى حدٍّ، إلَّا أنَّها جمعت أمَّات الكتب، وتنوَّعت في فنونها واختصاصاتها، وإن كان يغلب عليها: كتب الأدب ودواوينه، فتلك السِّمة الَّتي طغت على الشَّيخ، وذاك ميدانه الَّذي جال فيه وصال، فقد كان منها: كتب في التَّاريخ، والتَّفسير، والمذاهب واختلاف الأئمَّة...».

✍ **مرض الشَّيخ ووفاته:**

جعل الكبر يدبُّ إلى الشَّيخ شيئًا فشيئًا، مع الأمراض الَّتي لازمته، كمرض المفاصل «الرُّوماتيزم»، حيث لا يحرِّك رجليه للمشي إلَّا بصعوبة، كما هدَّت الهموم والغُموم والمحن جسده، وقضت على البقيَّة الباقية من قواهُ، حتَّى أقعده المرض، فلازم الفراش طويلًا، ولم يكن يؤلم الشَّيخ كتألُّمه من الحال الَّتي باغتته، فصار عاجزًا عن الخروج إلى المسجد، ونقل خطاه إلى بيت الله لشهود الجماعة والجمعة، وقد حدَّثني ولده «عبَّاس» أنَّه كان إذا سمع أذان الجمعة، ذرفت عيناه؛ أن لو يجد القوَّة ، فيلبِّي نداء الله، ويشهد الفريضة، وكان يردِّد، تحسُّرًا على نفسه: «النَّاس يصلُّون!...»، فيجيبه الولد مسلِّيًا: «إنَّك معذور».

ولقد كان الشَّيخ في أخريات حياته، منصرفًا كلَّ الانصراف لتلاوة

القرآن، وإعمار الأوقات بالنَّظر في المصحف، لا تخطئه ليلة من حين فارق العمل النِّظامي وأخذ التَّقاعد، حتَّى ليلة الوفاة.

ولقد كان آخر ما يطالع فيه قبيل وفاته: كتاب «كلمات القرآن» للشَّيخ محمَّد حسنين مخلوف، فلقد كان مشدودًا بالقرآن والنَّظر في معانيه، وكيف لا يكون آخر ما يختم به، وهو الَّذي ناضل أيَّام الاستعمار دفاعًا عنه وعن لغته، ودأب بعد الاستقلال على تذكير النَّاس به، فجعل يفسِّره لهم لسنوات متعاقبات، حتَّى قارب منتصفه.

توفِّي الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ وأسلم الرُّوح إلى باريها يوم (٢٣ ماي ١٩٩٣م) في منزله، ودفن في مقبرة «سيدي بَنُّورْ» ـ بُوزَرِّيعَة، وشيَّع جنازتَه بعضٌ من معارفه ومحبِّيه، رحمه الله رحمةً واسعة، و لم يحظ الشَّيخ بلقاسم بن ارواق، حتَّى في موته وجنازته، بالمكانة اللَّائقة به، واستمرَّ التَّجاهل والتَّنكُّر له، والغمطُ لقدْره حيًّا وميِّتًا، رحمه الله تعالى، وقدْ أَبَّنَهُ في المقبرة[1] بكلمةٍ قصيرةٍ، صديقُه الأستاذ «صلاح مؤيِّد العُقْبِي»، الَّذي كان مؤانسًا له، ومخفِّفًا عنه همومه وغمومه، في أخريات حياته، رحمه الله تعالى.

(١) أنبِّه في هذا الموضع على أنَّ ما درج عليه جماعة المصلحين الجزائريِّين، وغيرهم، من التَّأبين، وإلقاء الخطب في مجمع المشيِّعين، ليس ممَّا يُشرع.

# الشيخ «بلقاسم بن ارواق» ومنهجه الإصلاحي

لقد برز منهج الشَّيخ الإصلاحي في كثير من مقالاته وكتاباته، وظهر من خلالها تبنِّيه لدعوة الإصلاح ودفاعه عنها ومفارقته لأعدائها، ولا يستغرب ذلك ممَّن خرجه الإمام المصلح الأكبر الشَّيخ ابن باديس، وعمَّن واكب مسيرة دعوة «جمعيَّة العلماء».

✍ **العضويَّة في «جمعيَّة العلماء»:**

وقد انضمَّ إليها مبكِّرًا، وعمل على نشر مبادئها، والدِّفاع عن خطَّتها، كـ«عضو عامل»، فأخلص لدعوتها كلَّ الإخلاص، وإنَّ كون الشَّيخ «بلقاسم» من رجالها، له دلائل كثيرة، نستلمحها ممَّا كتبه الرَّئيس الثَّاني لهذه الجمعيَّة الإصلاحيَّة، وفصله في اللَّائحة الدَّاخليَّة، الَّتي ترسم مناهج العمل، وتوجّه الوجهات الصَّحيحة الَّتي ينبغي أن يكون عليها كلُّ مصلح من أعضائها، وقد فصل فيه «واجبات الأعضاء العاملين وحقوقهم»، و**العضو العامل** ـ في تعريف الإبراهيمي ـ: «هو كلُّ عالم مسلم محصّل لعلمه باللُّغة العربيَّة، جزائريُّ الموطن، وكلُّ متعلِّم بالشُّروط المذكورة وإن لم يصل إلى درجة العالميَّة، وكلُّ شابٍّ حافِظٍ للقرآن بالشُّروط المذكورة، ساعٍ في التَّعلُّم راغبٍ فيه، فهذه ثلاث طبقات»

وأثناء تأسيس الجمعيَّة، كان الشَّيخ «بلقاسم» يزاول دراسته، ويتلقَّى تعليمه الثَّانوي في «الجامع الأخضر»، فهو ـ وإن لم يكن من أهل الطَّبَقة الأولى ـ الَّذين حصَّلوا «العالميَّة»، فهو من السَّائرين في طريقها، ولا شكَّ أنَّه من «أهل العلم وحامليه».

ولم يَنْزِلْ إلى الميدان إلَّا بعد تأهُّله واستكمال عدَّته، وقد نال شهادة أستاذه الإمام وتقديره، فكان ممَّن يسندون الدَّعوة الإصلاحيَّة، ويدعِّمونها، وقد أعطاه بذلك «شهادة مكتوبة» [أخبرني ولده «عبَّاس» أنَّه أراه ذات يوم شهادة مكتوبة من الإمام ابن باديس] وقد قام الشَّيخ «بلقاسم» بواجبه، الَّذي يوجبه عليه دينه وشهامته، وتوجبه عليه (درجته) الَّتي دخل فيها عن إيمان، وذاك الواجب هو: «تنفيذ أغراض الجمعيَّة ومقاصدها»(1)، وقد قال الإبراهيمي: «من واجبات كلِّ عضوٍ أن يخلص للجمعيَّة، وآية الإخلاص أن يذيع سمعتها في الأوساط العامِّيَّة ويقوم بالدِّعاية لها والتَّنويه بها والإشادة بذكرها، ولا يدَّخر وسعًا في تعزيز جانبها».

وقد كان الشَّيخ «بلقاسم» مخلصًا لجمعيَّته، منوِّهًا بها وبفضلها في كلِّ مناسبة تسنح له، وقد فعل ذلك في أوَّل مقالة تُنْشَر له بمناسبة صدور «البصائر»، وتمكُّن المصلحين من رجال الجمعيَّة من إيجاد صحيفة تكون ناطقة باسمهم، وتمثل لسان حال جمعيَّتهم.

✍ **فضل جمعيَّة العلماء:**

قال الشَّيخ «بلقاسم» في إبراز فضل هذه الجمعيَّة، الَّتي قاومت الباطل

---

(1) «الآثار» (1/ 81).

وصاحت في وجه المبطلين، وصدعت بالحقِّ، وأعادت للإسلام نقاءه وجماله، وطهَّرته ممَّا أُلصق به من البدع والخرافات: «**انتبهنا على نور اليقظة بعد نومٍ دام قرونًا نلتمس الحياة فما وقفنا لها على أثر.. فوقفنا وقفة الحائر لأوَّل وهلةٍ لا ندري كيف السَّبيل ولا كيف الحياة، إلى أن قيَّض الله لنا رجال هذه الجمعيَّة؛ جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، فأخذت تصرخ في وجه البغاة**»؛ يقصد بهم من بغوا على هذا الدِّين وظلموه، بأن حرَّفوه وضلُّوا سبيله، وتنكَّبوا هديه، وجعلوا تلك السُّبل المحدثة، والطَّرائق المختلفة هي دين الله، وسالكها ـ على تعدُّدها وتباينها ـ هو النَّاجي الموعود، وإذا جاء النَّاصح لهم، المبين خطأهم وانحرافهم، والآخذ بأيديهم للحقِّ، قاوموه وحاربوه ورموه بكلِّ نقيصة، وادَّعوا عليه كلَّ إفك وبهتان، وتعدَّوْا وبغوا، فما أصدق عليهم وصف «البغاة» على دين الله، وعلى عباد الله المهتدين، وقد كانت «جمعية العلماء» رافعةً لواء التَّوحيد، وناشرة السُّنَّة في هذا القطر، ولم تَرُقْ دعوتها هذه لمشايخ الطُّرق ورؤوس الزَّوايا، الَّذين رأوا في هذه الدَّعوة الإصلاحيَّة، هدمًا لصرحهم، وقضاء على نفوذهم، وانفضاض النَّاس من حولهم، حين يدركون أنَّ «خرافة الشَّيخ والمريد» ما هي إلَّا مصيدة لاستغفالهم، واستلاب أموالهم، واستغلالهم.. فسعى هؤلاء لمحاربة «دعوة الإصلاح»، واستعانوا بالحكومة عليها، وعملوا على تشويه سمعتها، واختلاق الكذب عليها، حتَّى ينفِّروا النَّاس عنها بذاك البهتان، وقد رَمَوْها عند الحكومة بأنَّها جمعيَّة وهَّابيَّة، تعمل لنشر هذا الدِّين والمذهب الجديد، وأنَّها تعمل على بذر بذور الفرقة والتَّشتُّت في الأمَّة، وأنَّ الاضطرابات والفتن والقلاقل

الَّتي «ادَّعت ـ خلافًا للواقع ـ» أنَّها حدثت في المساجد، سببها «أدعياء الإصلاح»، وقد تكرَّرت وشاياتهم، وسعاياتهم عند الحكومة حتَّى استصدروا قانونًا يمنع العلماء الأحرار من إلقاء الدُّروس في المساجد الَّتي تحت قبضة الحكومة.. في صور من «**البغي** والعدوان»، كما وصموا «المصلحين» بأنَّهم يعملون للإفساد، وأنَّ جمعيتهم، جمعية هدَّامة.. ملحدة.. ضالَّة.. مفسدة.. وغير ذلك من العظائم.. حتَّى رموها بأنَّها جمعيَّة تُنْكِرُ البعث والنُّشور.. فما أحقّ هؤلاء بوصف «البغاة»، ولم يكتفوا بذلك حتَّى عمدوا إلى نهش أعراض العلماء، وأكل لحومهم، والتَّعرُّض لأشخاصهم، وتسميم أفكار العامَّة ضدَّهم.. وقد تولَّت كبر ذلك «البغي والتَّجنِّي» جريدتهم «المعيار»[1] وقد صبر المصلحون لكلِّ ذلك، وأعرضوا عن كلِّ ذلك السَّفه، وواصلوا مسيرهم محتسبين، حتَّى آتت دعوتهم ثمارها، ونجحوا كلَّ النَّجاح في الرُّجوع بالأمَّة إلى الدِّين الحقِّ الصَّحيح الخالي من كلِّ شرك وخرافة، وأصبح المنتسبون للإصلاح ولو من العامَّة يخلصون لله في دعائهم وعباداتهم، وأصبحوا يحكِّمون الدَّليل

(١) وفي جريدة «الإخلاص» لسان حال «جمعيَّة علماء السُّنَّة» الَّتي ظهرت مضارّة ومضادَّة لدعوة جمعيَّة العلماء، يطعنون على متنها في المصلحين، ومن أمثلة ما ورد في أوراقهم الخاسرة: مقال «الإصلاح المزعوم وأثره السَّيِّئ في الوحدة الجزائريَّة»، قال صاحبه: «ظهرت هذه الفئة المغرورة لنشر الوهَّابيَّة وتزيينها في قلوب العامَّة السُّذَّج وقامت بالدِّعاية لنشرها في حفلاتهم ودروسهم، وتلقَّيناتهم، بل وبسائر الوسائل، فأحسَّ علماء السُّنَّة بهذا الويل المحدق بهم وتحقَّقوا أنَّ الدِّعاية الوهَّابيَّة كادت أن تعطى حظَّها الأوفر من الذُّيوع والانتشار، الشَّيء الَّذي أوجب عليهم القيام بفرضيَّة الدِّفاع عن حوزة الدِّين، صيانةً له وغيرةً عليه، فأسَّسوا لهذا الشَّيء ومن أجله «جمعيَّة علماء السُّنَّة»...» إلخ، نقلًا عن «مذكِّرات العقون» (١/ ٢٦٩).

ويتطلَّبونه في أمورهم، وأصبحوا ينكرون البدع والباطل بفِطَرِهم وبما كانوا يسمعون من دروس الإصلاح، وعرفوا حقيقة مشايخ الطُّرق، فانفضُّوا من حولهم، وصاروا ينكرون عليهم؛ كلُّ ذلك كان ـ بعد فضل الله ـ بفضل الدُّروس والمحاضرات الَّتي يلقيها دعاة الإصلاح، والمقالات الَّتي تنشرها صحفهم.

ثمَّ يواصل الشَّيخ «بلقاسم» كلامه بقوله: «**فأخذت تصرخ في وجه البغاة فتفنِّد حُجَجَهُم، وتُسَفِّه أفكارهم، وتُعِيد للإسلام حسنه وجماله، بما تنشر للأمَّة من العلم النَّافع، بواسطة جرائدها ودروس رجالها، الأمر الَّذي جعلها تحلُّ من الأمَّة محلَّ الرُّوح من الجسد..**».

ويقول الشَّيخ «بلقاسم» في مقالته عن «سير الجمعية وأعمالها»؛ يتحدَّث عن نعمة ظهور العلماء المصلحين:

«**إنَّ من نِعَمِ الله على الأمَّة الجزائريَّة أنْ وُجِدَ بينها علماء، يحملون العلم ويقومون بأعباء التَّبليغ داعين إلى الله بإذنه، يَحْدُوهُم الحقُّ ويقودهم العلم، قد عاهدوا الله على المضيِّ حتَّى الأخير، وقد قطعوا خمسة مراحل، وهم اليوم بجانب السَّادسة، بيدَ أنَّ نورًا قد أخذت تتَّسع دائرته، وترسل أشعَّته على القطر فتكسوه جمالًا، وقد تقتلع أشواكًا كانت تعترض القوم في طريقهم، وربَّ أشواك أصبحت وردًا، ذلك فضل «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» على الجزائر؛ وتلك أعمالها الخيريَّة المثمرة، وهذا غرسها، ومن ذا الَّذي لا يشتهي الغرس؟ هبَّت جمعيَّة العلماء تدعو النَّاس إلى الله في يومٍ طغى سواده على بياضه،**

**وفاخر الجهل العلم، وظنَّ أنَّه غالبُه، وقد كاد يظهر عليه، بيد أن السَّهم قد طاش وإن سدَّده، وعلا الحقُّ الباطلَ وإن كثر أتباعه، ودكَّ العلم صرحَ الجهل، فانكشفت الغيوم وتلاشت الأباطيل الَّتي حجبت شمس الحقيقة قرونًا، وكذلك يفعل الحقُّ بالباطل فيكسر جيوشَه ويمزِّق كتائبَه ويَفري كنانة السُّوء وبطانة الضَّلال، فتطهر الأرض ويحمد القومُ السُّرى. هبَّت جمعيَّة العلماء على ضوء هذه الحقائق، فبنت في خمس سنين. وهي ضعيفة الأنصار، ضعيفة المادَّة، قويَّة الإيمان، كثيرة الصَّبر. ما أوهى كاهل الدَّجاجلة وحسر عن مساويهم. وهم وإن كادوا لها. فقد كادوا لأنفسهم وما يشعرون، ولئن حاربوها فقد حاربوا الحقَّ بيد أنَّ جنود الحقِّ لا تغلب»**[1]. بهذا الأسلوب الرَّائق، والعبارات البليغة يكون الشَّيخ «بلقاسم» قد لخَّص مسيرة «الدَّعوة الإصلاحيَّة» الَّتي نجحت بعد جهاد ومجاهدة وصبر ومرابطة.

ثمَّ نجد الشَّيخ «بلقاسم» يذكر لنا بوضوح المنهج الحقَّ الَّذي يجب سلوكه، والسَّبيل المرضيَّة الَّتي يتحتَّم اتِّباعها، وعلى الرُّغم من أنَّها «سبيل واضحة»، و«محجَّة ظاهرة»، يذكر الشَّيخ «بلقاسم» إمكان خفائها، بما يحتاج معه إلى بيانها، ولندع الشَّيخ يبيِّن لنا بأسلوبه: **«وبما أنَّ النَّفس البشريَّة النَّزَّاعة إلى الظَّواهر والَّتي جُبلت. بطبيعتها. على حبِّ الظُّهور والتَّعمُّق في الشَّهوات الحيويَّة، قد تخفى أمامَها المسالكُ وتضلُّ عن سبيل الحقِّ وطرق الهداية، حذَّرها الله تعالى من أن تضلَّ بقوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ**

(١) «البصائر»: العدد ٤٠، ص٥.

**ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾** [الأنعام: ١٥٣]، **وقد شرح لنا الرَّسول ﷺ هذا الصِّراط المستقيم بأقواله وأفعاله، وأماط لنا اللِّثام عن وجه الحياة الحقَّة. الَّتي تضمن سعادة البشر في الحياة وترفعهم درجات في الآخرة، وبيَّن لنا سبل الحقِّ من الضَّلال. بما روى**(١) **إسماعيل عن سليمان ابن حرب قال: حدَّثنا حمَّاد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا طويلًا، وخطَّ لنا سليمان خطًّا طويلًا. وخطَّ عن يمينه وعن يساره فقال: «هَذَا سَبِيلُ الله»، ثمَّ خطَّ لنا خطوطًا عن يمينه ويساره وقال: «هذه سبل، وعلى كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾** [الأنعام: ١٥٣]»، فالسَّبيل الحقُّ هو ما كان عليه رسول الله ﷺ، وطريق الهداية هو ما تركنا عليه ﷺ، كأنَّ الشَّيخ «بلقاسم» يشير بقوله: «وقد شرح لنا الرَّسول ﷺ هذا الصِّراط المستقيم بأقواله وأفعاله»، إلى الأثر الصَّحيح الَّذي جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ من قوله: «**الصِّراط المستقيم ما تركنا عليه رسول الله ﷺ**»(٢)، ويعني به السُّنَّة، فهذان أصلان عظيمان يرجع إليهما طالب النَّجاة، ومريد الهداية؛

---

(١) قال الحاكم في «المستدرك» (رقم ٣٢٤١ ـ ط. الكتب العلميَّة): ..أخبرني الشَّيخ أبو بكر ابن إسحاق، أنبأ إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حمَّاد بن زيد، ثنا عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه .. فذكره، وقال عقبه: «هذا حديث صحيح»، وقال الذَّهبي في «تلخيص المستدرك»: «صحيح»، والحديث له روايات، وطرق أخرى، انظر: «ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة» للشَّيخ الألباني (ص١٣ و١٦ ـ ١٧).

(٢) انظر: كتاب «الاعتصام» للشَّاطبي (١/ ٧٩ ـ تحقيق الشَّيخ «مشهور بن حسن»).

الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ثمَّ ينتقل بنا الشَّيخ «بلقاسم» إلى بيان ما كان عليه المسلمون الأوَّلون، الَّذين امتثلوا السُّنَّة، وتمسَّكوا بالهدي النَّبوي، فحصلت لهم بها سعادة الدُّنيا والآخرة، ونالوا الرِّفعة والسُّؤدد، وحازوا الرِّيادة والمجد، قال: **«وقد سار على هذا السَّبيل الحقِّ رجالُ السَّلف من الصَّدر الأوَّل، فطَوَوا مراحل من الحياة، وضربوا أبعد رقم في التُّقَى والفضل، فدانت لهم الأرض وخضعت لعدلهم الرِّقاب، فأصبحوا ملوكًا على الأَسِرَّة أو مثل الملوك:** ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥**﴾ [النور: ٥٥]»، ثمَّ يعرض الشَّيخ «بلقاسم» للأمر الَّذي رفع أولئك السَّلف الأطهار، والسِّرِّ في استقامتهم، وهو تديُّنهم بالكتاب والسُّنَّة، تديُّنًا حقيقيًّا صادقًا، لا يَرِدُون ولا يَصدُرون إلَّا منهما، ولا يعوِّلون إلَّا عليهما، منهما يأخذون علمهم، ودينهم وإيمانهم وعقائدهم، فقال: **«سار على هذه المحجَّة البيضاء ثُلَّةٌ من الأوَّلين وقليلٌ من الآخرين، دليلهم الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة، لا يَرَون حكمًا غيرهما ولا يقدِّسون سواهما..»**، فيشير هنا إلى ما آلت إليه حال الخلف، في القرون المتأخِّرة، من التَّحاكم إلى غير الكتاب والسُّنَّة، وما عليه شيوخ التَّصوُّف من التَّحاكم إلى المنامات والمكاشفات والقصص والحكايات، وما ابتدعوه من الذَّوق والوجد، والأحاديث المكذوبة والأخبار الموضوعة، ومن جعل أقوال المعظَّمين من شيوخهم حاكمة على الشَّرع، ولقد كان الشَّيخ ابن باديس في اجتماعاته بمشايخ الطُّرق وأتباعهم، يرمي إلى توحيد مرجع التَّنازع وردِّ الاختلاف الواقع بين

جماعة الإصلاح وجماعة الطُّرقيِّين، ومن أوليات ما كان يحاول تثبيته أنَّ الشُّيوخ كغيرهم يخطئون، ولا ينزّهون عن النَّقد والرَّدِّ، قال: «فلو أنَّ إخواننا المنتمين للتَّصوُّف قبلوا أن يوزن كلام الشُّيوخ بميزان الكتاب والسُّنَّة مثل غيرهم من علماء الإسلام ورضوا بالرُّجوع الحقيقي لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩] لَبَطَلَ الخلاف أو قَلَّ»[١]، لكنَّهم لا يقبلون!

**مواصفات العالِم السَّلفي:**

قال في مقالته «على من تكون المسؤوليَّة يا ترى؟ (٢)»[٢]: «ومن واجب العلماء أن يبادروا بأداء الأمانة الَّتي تحمَّلوها بخدمة الأمَّة والسَّهر على حياتها، ولا يصدَّنَّهم من ذلك ضلال المضلِّين وكيد الكائدين؛ فإنَّ الله متمٌّ نوره و لو كره الكافرون، غير أنَّه لا بدَّ من تحمُّل المشاقِّ في بادئ الأمر وتذليل العقبات الكؤود الَّتي قد تَعرِض للمرشد أثناء دعوته، إذ ليس من السَّهل إنقاذ أمَّة لبثت قرونًا تحت نير الاستعباد الطُّرقي، وتدليس العلماء أو أشباه العلماء ـ بمجرَّد صرخةٍ من **عالمٍ سلفيٍّ**، يصافحها بالقرآن ويذكِّرها بالسُّنَّة السَّمحاء، داعيًا إلى الله على بصيرة، مُتَسَرْبِلًا بالصَّبر والأناة ولين الجانب خافض الجناح، يدعوها إلى ترك العوائد الجاهليَّة، والتَّمسُّك بأهداب الدِّين الصَّحيح الَّذي جاء به القرآن الكريم وبلَّغه محمَّد ﷺ، ويحذِّرها من طرق الشِّرك والضَّلال، تاليًا

(١) «الآثار» (٤/ ٢٤٨).

(٢) جريدة «الأمَّة»: العدد ٥٧، ص٢.

لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، لا يعرف حكمًا إلَّا الله ورسوله، ولا يقدِّس قولًا ما لم يكن مشفعًا بدليل، **ذلك هو العالم السَّلَفِيُّ وهذه صفاته، وجديرٌ بمن كان على هذا المنهج أن يفتخر بالإسلام وأن يفتخر الإسلام به،** أمَّا غير هذا فليس في العِير ولا في النَّفير، وحقيقٌ به أن يلزم كَسْر بيته، وليس من الحقِّ أن يزاحم العلماء..».

**وباء الطُّرقيَّة:**

ويتحدَّث «بلقاسم» عن وباء «الطُّرقيَّة»، وسوء آثارها في الأمَّة الجزائريَّة، بعد زيارته وجولته في بلاد الصَّحراء، قال: «إنَّ ألَمَ الصَّحراء عظيم جدًّا؛ لأنَّها أصيبت بأدواءٍ شتَّى، كلُّ داءٍ منها يدعو إلى شُعبةٍ من شُعَب الهلاك، فمِن داء الطُّرقيَّة المفسد للعقيدة الإسلاميَّة والمستهلِك للأموال ظلمًا، إلى داء الجهل القاتل للشُّعور الحيِّ، والَّذي يعمل على إحيائه أهل الطُّرق كي يفسح لهم المجال فينهَبوا الأموال ويستعبدوا الرِّجال...»(1).

**داء الشِّرك:**

وفي رحلته «العيديَّة» كما سمَّاها، يتحدَّث «بلقاسم» في مقالته «ليلة بِفَرْفَارْ (١)»(2) عن داء الشِّرك المتفشِّي في الأمَّة، فيقول:

«وحيث كان الشِّرك أوَّل درجة السَّفَه والجنون الَّذي انغمس في حمأته

---

(١) جريدة «الأمَّة»، العدد ٦٢، ص٢: «على من تكون المسؤوليَّة يا ترى؟ (٥)».

(٢) جريدة «الأمَّة»، العدد ٧٠، ص٢.

البشر، فإنَّ الإسلام حرَّمه بجميع أنواعه وذمَّ كلَّ من تلبَّس بشيءٍ منه؛ لأنَّ كفر النِّعم مذمَّةٌ تلبَّس بها السُّفهاء بِوَحيٍ من نفوسهم الشِّرِّيرة، والمشركُ عدوٌّ نفسه، عدوُّ الإنسانيَّة، وهو عضوٌ أشلُّ في المجتمع مغضوبٌ عليه بحكم العدالة، فهو طريد الإنسانيَّة، طريد رحمة الله، بعيدٌ عن جواره في دار الخلد؛ لذلك ضرب الإسلام على يد كلِّ مشرك، وحرَّم الشَّارع كبيره وصغيره، وجعل الحلف بالآباء شركًا: «**إِنَّ اللهَ نَهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١) ـ «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله مُتَعَمِّدًا فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٢). ليس في الإسلام إلَّا الخضوع والخنوع لله، وطاعة رسوله، وهو لا يعرف معتقدًا من هذه المعتقدات الَّتي نراها اليوم بين ظهرانينا، والَّتي لا نشكُّ في أنَّ سُوقَهَا كَسَدَ بفضل ما يقوم به العلماء من المصلحين، وستَسمل أثوابه وتذهب كأمس الدَّابر، وليس بين المسلمين وبين السَّعادة إلَّا طَمْر هذه المعتقدات والرُّجوع إلى مَهْيَع الحقِّ والسَّيْر على جادَّة الدِّين القويم ولا يزال المسلمون سعداء ما رعوا قاعدتهم الدِّينيَّة ﴿**فَإِن**

---

(٣) رواه البخاري: (كتاب الأيمان والنُّذور: باب لا تحلفوا بآبائكم) (رقم٦٦٤٦ و٦٦٤٧ ـ فتح)، ومسلم (كتاب الأيمان: باب النَّهي عن الحلف بغير الله تعالى) (رقم١٦٤٦ ـ نووي) عن عمر بن الخطَّاب..

(٤) رواه التِّرمذي (رقم١٥٧٤ ـ تحفة)، وحسَّنه، وأحمد في «المسند» (رقم٦٠٧٢ ـ الرِّسالة)، وابن حبَّان في «صحيحه» (رقم: ٤٣٤٣ ـ الإحسان)، والحاكم (رقم٧٨١٤ ـ ط. الكتب العلمية)، وقال: «صحيح على شرطهما»، وغيرهم.

ولفظه عند التِّرمذي وأحمد والحاكم: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»، على الشَّكِّ، ولم تأت عندهم في الحديث زيادة: «متعمِّدًا»، وقال الشَّيخ الألباني: «صحيح لغيره»، انظر: «الإرواء» (٢٥٦١)، و«الصَّحيحة» (٢٠٤٢).

﴿تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النور: ٥١] ـ ظلَّ المسلمون على هذه القاعدة الدِّينيَّة والمعتقد الحقِّ قرونًا رأوا في خلالها عظمة الحقِّ وجلاله فابتسم لهم الدَّهر بثغرٍ وضَّاح ولم تُرِهم الأيَّام ما في بطنها، واليوم وقد قلب لهم ظهر المِجَن، وأصبح المسلمون طرائق قِدَدًا، وجب على كلِّ كاتبٍ أن يُعمِل قلمَه في نفع الصَّالح العام، وإلَّا كان عدوًّا لنفسه وأمَّته ووطنه!».

✍ **الطَّريقة الاستدلاليَّة:**

ولقد ذكر الإبراهيمي ما ينبغي أن يكون عليه أعضاء الجمعيَّة العاملون، من التَّسلُّح بـ«العلم الاستدلالي»، ويقصد به تحكيم الدَّليل، وكان قد ذكر في فصل «مقاصد الجمعيَّة» أنَّها تجري ـ وكذلك يكون أعضاؤها ـ في الأعمال الدِّينيَّة «على الرُّجوع إلى صريح الكتاب وصحيح السُّنَّة، ثمَّ الرُّجوع إلى الإجماع الثَّابت والقياس الجلي فيما لا نصَّ فيه، ثمَّ التَّرجيح فيما اختلفت فيه الأنظار والاجتهادات»، ولترسيخ هذه المَلَكة في هؤلاء الأعضاء ـ الَّتي يدرجها الإبراهيمي في الإصلاح العلمي ـ يقول: «تعنى الجمعيَّة بترغيب أعضائها العاملين في اقتناء الكتب النَّافعة كأمَّهات التَّفسير والحديث وفقه اللُّغة والأدب...، وترشدهم إلى أعيانها وترِّغبهم في المطالعة، والغرض من ذلك هو تنمية ملكة الاستحضار والوصول منها إلى **العلم الاستدلالي**»[1]، وقد ظهر هذا

---

(١) «الآثار» (١/ ٨٧).

النَّفَس العلمي، وهذه النَّزعة الاستدلاليَّة، وهذا التَّأثُّر بكتابات المصلحين الأوَّلين والآخرين، في مقالة الشَّيخ «بلقاسم»: «الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ..»، فإنَّه أقامها على حجج صريحة من القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة، وما كان عليه السَّلف الصَّالح، كما يقول الإمام ابن باديس: «ـ سلوكُ السَّلف الصَّالح «الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين» تطبيقٌ صحيح لهَدْيِ الإسلام ـ فهومُ أئمَّة السَّلف الصَّالح أصدقُ الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسُّنَّة»[1].

يقول الشَّيخ «العربي» في تقرير جمعيَّة العلماء لـ«رسالة الشِّرك»: «الدَّعوة الإصلاحيَّة الَّتي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في العالم الإسلامي عامَّة وتقوم بها «جمعيَّة العلماء» في القطر الجزائريِّ خاصَّة، تتلخَّص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، والسَّير على منهاج سلفهم الصَّالح في أخلاقهم وعباداتهم القوليَّة والاعتقاديَّة والعمليَّة، وتطبيق ما هم عليه اليوم من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السَّلف الصَّالح، فما وافقه عددناه من دين الله فعملنا به واعتبرنا القائم به قائمًا بدين الله، وما لم يكن معروفًا في عهد الصَّحابة عددناه ليس من دين الله، ولا علينا فيمن أحدثه أو عمل به، فالدِّين حجَّةٌ على كلِّ أحد، وليس عمل أحدٍ حجَّةً على الدِّين»[2].

وبهذا العلم الاستدلالي، وهذه الأصول السَّلفيَّة، الَّتي جرت عليها «جمعيَّة العلماء» في طرح كلِّ بدعة وضلالة، ووزن الأعمال والأقوال بها...

---

(٢) «دعوة الجمعيَّة وأصولها» من تحرير الإمام، انظرها في: «الآثار» (٥/ ١٥٤).

(١) «رسالة الشِّرك» (ص٦).

بهذا الميزان الشَّرعي: حكم الشَّيخ «بلقاسم» كغيره من العلماء المصلحين على «الزَّردة» الَّتي يقيمها ويدعو إليها مشايخ الطُّرق ورؤساء الزَّوايا، بأنَّها بدعة ضلالة مردودة، ليست من دين الله، وأنَّها «لا خير فيها»، بل هي «شرٌّ»؛ يجب البعد عنه واجتنابه، وقد جاء عنوان مقالته، على هذا النَّسق: «**الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ. فاجتنبوها أيُّها المسلمون**».

وقد صدق عليها تعريف البدعة ـ كما عرفها ابن باديس وإخوانه العلماء ـ: «البدعة كلُّ ما أُحدث على أنَّه عبادة وقربة، ولم يثبت عن النَّبيِّ ﷺ فِعْلُهُ، وكلُّ بدعة ضلالة».

وبهذا يتَّضح أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» كان قد تبنَّى أصول «جمعيَّته»، وما قرَّره «أشياخه؛ من كبار علماء الجمعيَّة»، عاملًا بذلك، مترسِّمًا هذا النَّهج السَّلَفِي في «تمييز ما هو سنَّة عن ما هو بدعة»، وتمييز ما هو دين الله، عمَّا هو «ملصقٌ به؛ دخيلٌ عليه؛ وليس منه»، وقد طبَّقه أحسن تطبيق في مقالته.

✍ **عنايته بالكتب السَّلَفِيَّة:**

وقد برز من خلالها اطِّلاع الشَّيخ على بعض كتب المصلحين القيِّمة كالشَّوكاني، والأمير الصَّنعاني، وكان هذا منمِّيًا لملكة الشَّيخ «الإصلاحيَّة»، ومقوِّيًا لمواقفه، ومدعِّمًا لحججه، وقد كانت هذه الطَّريقة، ممَّا تفخر «جمعيَّة العلماء» به، وتحثُّ أتباعها على الأخذ بها، فكانت توصيهم باقتناء الكتب الإصلاحيَّة ومطالعتها وقراءتها قراءة درس وانتفاع، ككتب شيخي الإسلام ابن تيميَّة وابن القيِّم وكتب الشَّوكاني والصَّنعاني والشَّاطبي... وغيرهم.

وقد كانت هذه الكتب نفسها من أبرز عوامل «نشوء الحركة الإصلاحيَّة في الجزائر»؛ إذ قال الإبراهيمي تحت هذا الفصل؛ وهو يؤرِّخ لنشوء الحركة: «اطِّلاع بعض النَّاس على كتب المصلحين القيِّمة، ككتب ابن تيميَّة وابن القيِّم والشَّوكاني، فهذا عامل له أثره في التَّمهيد للدَّعوة الإصلاحيَّة»(١).

وهذه الكتب «تُربِّي ملكة البيان كما تُرَبِّي ملكة البرهان»، تكسب القائم عليها «قوَّة الحجَّة»، و«سداد الرَّأي» عند طَرْق مثل هذه المباحث، وإنَّ المطالع في مثل هذه الكتب لَيَتَفتَّح «لِذهنه آفاق الإصلاح»(٢)، وإنَّنا لنجد ذلك ونلمسه في بحث الشَّيخ «بلقاسم»، فقد كان من موارده في تحريره، بل جلُّ اعتماده على:

ـ ما كتبه الشَّوكاني في «نيل الأوطار»، وهو من أكمل الكتب في فقه السُّنَّة، وفي تفسيره المسمَّى «فتح القدير».

ـ وكذا على رسالة الأمير الصَّنعاني: «تطهير الاعتقاد...»، وعلى كلامه في «سبل السَّلام».

✍ **كتاب «صيانة الإنسان»:**

وهذا الكتاب كما أنَّه أهدي للشَّيخ مبارك، فإنَّه كذلك كان من جملة الكتب الَّتي أُهديت لمجلة «الشِّهاب»، وقد كلَّف الشَّيخ ابن باديس تلميذه الأديب محمَّد العابد الجلالي، بكتابة تقاريظ للكتب المهداة، ومنها كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان»؛ «هذا الكتاب ألَّفه أحد علماء الهند

(١) «السِّجل» (ص٤٧).

(٢) «الآثار» (١/ ٣٦٧ـ٣٦٨).

الأعلام، وهو العلَّامة... مولانا الشَّيخ محمَّد بشير السَّهْسَواني الهندي المولود في وسط القرن الثَّالث عشر الهجري، والمتوفَّى سنة (١٣٢٦هـ)، ردَّ به على رسالة الشَّيخ أحمد زيني دحلان المسمَّاة «الدُّرر السَّنيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة».

ودحلان هذا هو أحد رؤوس الضَّلال الَّذين أعادوا لوثنيَّة القبور ماضي شبابها بما ألَّفوه وكتبوه من الوساوس والضَّلالات...»[1]، كما أوصى بهذا الكتاب ونوَّه به الشَّيخ أبو يعلى الزَّواوي، فكتب في «البصائر»[2] «تنبيه مهمٌّ إلى كتابين جليلين...»، أحدهما «صيانة الإنسان».

ويظهر أيضًا أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» كانت له عناية بهذه الكتب السَّلفيَّة، وكان يطالع فيها، استجابة لوصايا أشياخه، ورغبة في التَّزوُّد بالحجج والبيانات من كتابات أمثال هؤلاء الفحول، يستعين بها في دعوته وكتاباته.

وقد أكرم الشَّيخ «بلقاسم» ـ بعد ذلك ـ بتملُّك نسخة من هذا الكتاب، كانت هديَّةَ الشَّيخ مبارك الميلي للفائز الأوَّل في مسابقة التَّشطير، وقد فاز بها الشَّيخ «بلقاسم» ـ كما أسلفنا ـ.

كما وجدت في مكتبة الشَّيخ الَّتي حوتها غرفته، من الكتب القيِّمة:

«الفتاوى الكبرى» لابن تيميَّة، «مجموعة الرَّسائل والمسائل» له في جزءين (خرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه الشَّيخ محمَّد رشيد رضا): [وفي أوَّل صفحة منه وضع الشَّيخ فهرسًا خاصًّا بالمسائل بخطِّ يده، كما تظهر على صفحاته علامات

---

(١) «الشِّهاب»: شوَّال ١٣٥٢هـ، ص٨٥ ـ ٨٦.

(٢) العدد: ٧٩، ص٤.

القلم ممَّا يدلُّ على قراءة الشَّيخ للجزءين كليهما، كما وجدت في أوَّل صفحة من الجزء الثَّاني تقييدات لفوائد ونقول من كتب أخرى؛ نقول عن الشَّيخ رشيد، وفي الخلف: فهرس للمسائل من وضعه]، «الموافقات» في أصول الأحكام للشَّاطبي، «الاعتصام» له [ويظهر من النَّظر في صفحات الكتاب أنَّه كان يطالع فيه، فبالعديد منها آثار القلم].

كما وجدنا فيها: «تفسير المنار» للشَّيخ محمَّد رشيد رضا، وكان يعتمده في دروس التَّفسير الَّتي كان يلقيها بمسجد الشُّهداء.

وهو: «من حيث العقيدة والتَّوحيد طيِّب...»[1] [وقد وقع في تفسيره هذا، وفتاويه، هناتٌ وأغلاطٌ، انتقدها عليه تلاميذه ومحبُّوه قبل أعدائه ومخالفيه].

* * *

(1) «المخرج من الفتنة» للوادعي (ص123 ـ ط. دار الحرمين/ القاهرة ـ ط. 5: 1420هـ ـ 1999م).

بين يدي

بيان الكاتب العام للجنة الدِّعاية:

## «الزّردة رأسُ كلِّ شرٍّ. فاجتنبوها أيُّها المسلمون!»

# أحداث وأصداء «زردة ابن جلول»

## ✍ الدُّكتور ابن جلُّول، و«الزَّردة الكبرى» بقسنطينة:

بعد أن انصرمت سبع سنوات من عمر «جمعيَّة العلماء»؛ وجَّهت فيها الجهود ـ عن قصد وتدبير ـ لحرب أضاليل الطُّرقيَّة، «بردعة الاستعمار، وآلته المسخَّرة بيده»، والَّتي لم يكن العلماء يعرضون فيها لسياسة الاستعمار إلَّا بقدر.

لم تلبث «الجمعيَّة»: «أن وجدت نفسها بحكم السِّياسة الاستعماريَّة الَّتي دخلت في كلِّ شأن من شؤون الجزائر مضطرَّة إلى الخروج عن برنامجها الدِّيني المحض والخوض في وسائل سياسيَّة»[1]، ولقد كان ظهر على السَّاحة أحزاب سياسيَّة، وزعامات جزائريَّة، تباينت أفكارها ومذاهبها وبالتَّالي مطالبها، فأراد ابن باديس أن يربط هؤلاء بمؤتمر إسلاميٍّ عام... وكان «المشكل الكبير الَّذي واجه ابن باديس وبذل فيه جهدًا كبيرًا هو إقناع الزُّعماء الجزائريِّين، بأنَّ الشَّيء الَّذي يطالبون به من الاندماج والتَّجنيس قصد الوصول إلى المساواة؟ لا يمثِّل رغبات الشَّعب الجزائري المسلم، وقد حاول إقناعهم بكلِّ الأساليب وحتَّى باستعمال لهجة العنف معهم، وكان في مقدِّمة الزُّعماء الحكيم محمَّد الصَّالح ابن جلُّول رئيس ما يسمَّى «جمعيَّة النُّوَّاب الأحرار» الَّذي يتَّفق مع ابن باديس عند الملاقاة معه ثُمَّ

---

(١) سليمان الصيد: «ردّ شبهات حول موقف جمعيَّة العلماء من ثورة أوَّل نوفمبر» (ص١٥).

يسير على النَّهج الَّذي يريده ويفرضه عليه زملاؤه من النُّوَّاب [أصدر «ابن جلُّول» جريدة تعبِّر عن آرائهم هي جريدة «لَانْتَانْتْ» أي: الوفاق أو التَّفاهم][1].

عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري يوم ٧ جوان ١٩٣٦م، ونجح ابن باديس في غايته، واستطاع توحيد المطالب والخروج بقرار موحَّد بضرورة المحافظة على الشَّخصيَّة الإسلاميَّة العربيَّة، «وقد عانى في محاولته لجمع الكلمة حول الأهداف القوميَّة الوطنيَّة، ويعني بذلك عروبة الجزائر وإسلامها»، «وبعد جلسات ومناقشات... تكون وفد المؤتمر وسافر إلى فرنسا»، «ذهب [ابن باديس] مع هيآت تدَّعي الزَّعامة في الجزائر وهدفها المقصود الإدماج... وكان في هذا الوفد الحكيم «ابن جلول» [داعية الاندماج] وغيره، الَّذين ما إن وصلوا إلى فرنسا، حتَّى صاروا يصرِّحون تصريحات مخالفة لروح المؤتمر، فاغتاظ ابن باديس، وقاد الأمور بنفسه...»، وعقد الاجتماع العام في ٢ أوت ١٩٣٦م بعد رجوع وفد المؤتمر من فرنسا، ووقعت حادثة الاغتيال المشؤومة، الَّتي دبَّرتها الإدارة الاستعماريَّة، وعلى إثرها كان اعتقال الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبِي، واتِّهام جمعيَّة العلماء في شخصه، بقتل المفتي «ابن كحول»، وفي هذا الظَّرف الحَرِج الَّذي يمرُّ على العلماء، وفي هذا الوقت الخطر، يدير «ابن جلُّول» «وجهه عن العلماء»، ويتنكَّر للجمعيَّة، ويطعنها طعنةً نجلاء من خلف، ويرتمي في أحضان «الإدارة الاستعماريَّة»، ويصير «حبيبًا مقرَّبًا» لدى رجالها؛ مدَّت له الأيدي، وقرَّبته، وفتحت له الأبواب، لتسخِّره للعمل على القضاء على «العلماء المشوِّشين

(١) نفس المصدر (ص١٧).

المتدخِّلين في السِّياسة»، وقد بدَا مِنْ خَفِيِّ مَكْرِه قبل ذلك، أنَّه يعد بالكيد للجمعيَّة والبطش بها، ثمَّ في الوقت الحرج، صرَّح بتصريحات فيها التَّلويح باتِّهام العلماء في قضيَّة مقتل المفتي، وأنَّ الإسلام الَّذي تدعو إليه جمعيَّة العلماء، يعني الرُّجوع إلى أصوله من الشِّدَّة، وهو عنده «خطرٌ على فرنسا»(١).

وكان منه: أن «التفت نحو الطُّرقيِّين يحاول مساعدتهم له، فأقام على شرفهم «زردته الكبرى»..»، [إذ أراد أن ينتقم من جمعيَّة العلماء وأن يغيظها ويعاكسها، ويحاربها بهذه «الزَّردة»]، «وكانت بالمعنى الحقيقي «زردة سياسيَّة»... وقد تقدَّمت هذه الزَّردة دعاية واسعة في الجرائد العربيَّة والفرنسيَّة، وأثناء اجتماعات عامَّة وخاصَّة».

وجاءه الدَّعم والمدد من الإدارة والمعمِّرين؛ لإقامة «زردته»، وقد عرض الشَّيخ ابن باديس: «لكلِّ ما أتى به الدُّكتور من أعمال ضارَّة، وما سلكه من سبل معوجَّة»(٢)، وقال: «كلُّ هذا لحضرة الدُّكتور على أن يعمل على هدم الجمعيَّة وهدم المؤتمر(٣) وقد عمل لذلك بقوله وعمله وكتاباته..».

ولقد قام العلماء المصلحون يكشفون مؤامرات «ابن جلُّول» على

(١) وقد ردَّ على مقولته الجاهلة هذه الشَّيخ أبو يعلى الزَّواوي في مقالة نشرت في «البصائر»: [العدد ٤٥، ص٢ ـ ٣، بعنوان: **«الدُّكتور ابن جلُّول وقوله في الإسلام إذا رجع إلى أصله أنَّه خطر!»**].

(٢) «الآثار» (٥/ ٣٢٠)

(٣) كانت أمنية النُّوَّاب المنتخبين الاندماج والحصول على الجنسيَّة الفرنساويَّة، لكن **تدخُّل** العلماء غيَّر مجرى الأمور، **وأجبر** النُّواب على المطالبة بالمحافظة على الشَّخصيَّة وعدم التَّخلِّي عن الجنسيَّة الإسلاميَّة.

«الإسلام الصَّحيح» الَّذي يدعو إليه جماعة الإصلاح الدِّيني؛ فقد كتب الشَّيخ مصطفى بن حْلُوش المستغانمي (المدرِّس بمدرسة أبي العبَّاس)[1] مقالة بعنوان: **«زردة ابن جلُّول والرُّجوع بالأمَّة إلى الضَّلالات»**[2]، كما نقلت «البصائر» عدَّة مقالات عن جرائد «تونس» تابعت أعمال «ابن جلُّول» في الدِّعاية لزردته، وأثناء إقامتها، ونلخِّص أهمَّ ما ورد في هذه الكتابات.

**✍ الدِّعاية للزَّردة:**

«نشرت جريدة «الَدِيبِيشْ» القسنطينيَّة خبرًا مفاده: أنَّ يوم الأحد ١٠ أكتوبر تقام [زردة] بمقبرة قسنطينة تحت رئاسة الدُّكتور ابن جلُّول وستكون هذه الزَّردة أكبر أكلة شعبيَّة! وستقام احتفالات دينيَّة تُنُوسِيَتْ وَزَهَدَ فيها النَّاس من زمان»، علَّق الشَّيخ مصطفى بقوله: «ومقصود الدُّكتور من هذه الزَّردة معاكسة العلماء الَّذين ينكرون هذه الزَّردة وشبهها، لما فيها من تبذير الأموال ومخالفةٍ للدِّين الإسلامي الطَّاهر البريء من مثل هذا العبث».

**✍ رجال الإدارة الاستعماريَّة في معونة «ابن جلُّول»:**

تقدَّم «ابن جلُّول» إلى الأمَّة بمنشوري الزَّردة في يومي ٩ ـ ١٠ أكتوبر ١٩٣٦م، يخاطبها فيها من ناحية البطون[3]، «يدعو حضرة الدُّكتور الأمَّة لحضور زردته من أطراف القطر؛ وتبادر شركة القطار بتخفيض أسعار الرُّكوب إلى

---

(١) انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ٢٤٤ ـ ٢٥٠).

(٢) العدد: ٣٨، ص٧.

(٣) نقلًا عن جريدة تونسيَّة، «البصائر»، ع٤٦، ص٤.

النِّصف، وتبسط يد الإدارات وأصحاب النُّفوذ في الإدارات بالإعانات الطَّائلة، وتفيض أودية الصُّحف الاستعماريَّة وتنطلق أقلام كتَّابها بالتَّأييد والتَّحبيذ، لماذا؟ إلى اتِّحاد المسلمين إلى حفلة إسلاميَّة، إلى منظر من مناظر الرَّحمة والإنسانيَّة الَّتي يأمر بها الإسلام! إلى الاحتفال بذكرى أجدادنا! هذا في منشور الزّردة ليوم ١٠ أكتوبر» اهـ.

ويذكر الشَّيخ ابن باديس عنه: أنَّه قد أعطاه «الماليون المعروفون قناطير الفارينة، ورؤوس البقر ليقيم زردةً لأمواتِ وجه الأرض على أموات بطنها..»[١].

ويقول الشَّيخ مصطفى: «بلغنا[٢] أنَّ بعض رجال الإدارة وبعض الذَّوات البارزة في هيئات المعمِّرين قد بذلوا مالًا كثيرًا لإقامة هذه الزَّردة وأنَّهم سيحضرون فيها بذواتهم»، ثمَّ يعلِّق الشَّيخ مصطفى: «فإذا ثبت هذا، أفليس من حقِّنا أن نقول: إنَّ عمل الدُّكتور له صلة متينة بما وقع في الأيَّام الأخيرة في سيدي بلعباس وعين تموشنت، وذلك أنَّ المعمِّرين أقاموا عدَّة زردات لفقراء المسلمين في المقابر وترأَّسها أكابر المعمِّرين أنفسهم وخطبوا فيها على من لبَّى دعوتهم؛ يدعونهم للتَّمسُّك بعادات الأسلاف وأن لا يتَّبعوا ما يدعو إليه العلماء والعاملون، وخوَّفوهم وأرهبوهم بما بقي في يدهم من سلطان وفي كلمتهم من نفوذ، وإذا كان ما يعمله ويقوله الدُّكتور في عمالة قسنطينة هو عين ما يعمله ويقوله غلاة المعمِّرين في عمالة وهران، فعلى ثقة الأمَّة بالدُّكتور السَّلام».

(١) «آثار ابن باديس» (٥/ ٣٢٢).

(٢) قد جزم الشَّيخ ابن باديس بذلك، وهو أعرف بالرَّجل، وأقرب إلى الحدث.

ولا شكَّ أنَّ الإدارة الاستعماريَّة وأذنابها كانوا يمدُّون أيديهم للطُّرقيِّين المخرِّفين، وفُلُول القبوريِّين، فيَلقون منهم العون والمدد والتَّأييد، إذ أنَّهم يلتقون جميعًا في العمل لإلهاء هذا الشَّعب وتنويمه وتخديره، حتَّى يبقى ذليلًا تحت أرجل فرنسا، في الوقت الَّذي كانوا يحاربون فيه العلماء، ويسلِّطون عليهم أنواع الاضطهاد والتَّضييق؛ لأنَّهم يدركون أنَّ في عملهم إيقاظًا للشَّعب، وفتحًا لأعينه، وأنَّ من وراء حركتهم قضاءً على نفوذ فرنسا، وهدمًا لمخطَّطاتها في الجزائر.

ثمَّ قال الشَّيخ مصطفى: «وأخيرًا نقول للدُّكتور إذا كان الباعث لك على إقامة هذه الزَّردة باعثًا دينيًّا [والحقيقة أنَّه دجل سياسيٌّ باسم الدِّين] فاعلم أنَّ الدِّين يمنع أن تكون المقبرة الَّتي هي محلّ التَّفكُّر والاعتبار والخشوع والإطراق ـ محلّ الأكل والشُّرب والعبث واللَّهو بالتَّزمير وضرب البندير، وإذا كان الباعث عليها حاجة الفقير، فاعلم أنَّ الفقير لا يحتاج إلى أكلة في يوم واحد من سنة، بل حاجته إلى محلٍّ يأويه وطعام دائم يشبعه وعلم وصناعة يخرجانه من صفِّ الفقراء إلى صفِّ الأغنياء بصناعتهم وعلمهم فهلَّا سعيت يا حضرة الدُّكتور...».

ثمَّ ما لبثت «جمعيَّة العلماء» في الوقت الَّذي كان يكثِّف فيه «ابن جلُّول» الدِّعاية لزردته، ومن خلفه ومن أمامه الجرائد الاستعماريَّة والطُّرقيَّة، أن يخرج مجلسها الإداري **«منشورًا»** «إلى الأمَّة الجزائريَّة المسلمة»، أفهمَ النَّاسَ «ما تنطوي عليه تلك الزَّردة العصريَّة من الدَّسائس».

**✍ إهانة «ابن جلُّول» للأمَّة:**

يقول الكاتب: عرض «ابن جلُّول» الأمَّة لـ«السُّخريَّة والازدراء أمام

الأجانب الَّذين أعدُّوا الزَّردة بواسطته لوضع شريطٍ سينمائيٍّ عليها وعرضه في بلاد العلم والثَّقافة أمام العدوِّ والصَّديق...»[1].

وسنقتطف مقتطفات من المنشور:

**«منشور من جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين إلى الأمَّة الجزائريَّة المسلمة بمناسبة الزَّردة الَّتي يدعو إليها ويتزعَّمها الدُّكتور ابن جلُّول بقسنطينة»**:

«أيَّتها الأمَّة**!** إلى متى يلعب بك أعداؤك؟ إلى متى يتَّخذون دينك هزؤًا ولعبًا؟ إلى متى يشغلونك بالسَّفاسف والمضحكات؟ إلى متى يستغلُّون غفلتك وجهلك ويقودونك إلى المهلكات؟ إنَّهم يدبِّرون لكِ المكائد بأسماء مختلفة وفي مظاهر مختلفة... بالأمس دبَّروا لكِ مكيدةً مات فيها إمامٌ ظُلْمًا وعدوانًا، وسُجن فيها عالم ظُلْمًا وعُدْوَانًا؛ ومرادهم من ذلك كلِّه معروف، فخيَّبتِ ظنَّهم وأحبطتِ سعيهم.

واليوم ينصبون لك الفخَّ على قطعةً من اللَّحم باسم «الزَّردة الكبيرة» و«الأكلة الشَّعبيَّة»، كأنَّهم لا يعرفون قدرك، ولا يعترفون بأنَّك «شعبٌ» إلَّا في هذه المواقف المزرية، إنَّ المسلم حرٌّ، والحرُّ لا يرضى بالدَّنِيَّة، ولو مات من الجوع، ولا يرضى له الإسلام أن يكون كالضَّبع يُصَادُ بأبخس المآكل.

إنَّهم يسترون هذه الزَّردة ـ بل هذه الفضيحة ـ باسم الإحسان إلى المساكين، وأين غاب عنهم الإحسان في غير هذا الوقت، ويزيِّنونها باسم الاحتفالات الدِّينيَّة **المحرَّمة** وإحياء العوائد **السَّخيفة الضَّارَّة** ـ ومحالٌ أن يأتي

---

(١) المصدر السَّابق.

الإحسان لطائفةٍ من المساكين بالإساءة إلى جميع المسلمين...

إنَّ هذه الزَّردة الَّتي كثرت عنها الإعلانات وجمعت لها الإعانات، هي كحبَّة القمح الَّتي توضع في الفخِّ... [ثمَّ ذكر الأغراض من تدبير هذا الفخِّ، ومنها:] تشويه دين الإسلام بنسبة هذه السَّخافات إليه وإقامة الحجَّة على الإسلام بكلام دعاة الزَّردة... تشويه سمعة الأمَّة السِّياسيَّة... يصوِّرونها على تلك الحالات السَّخيفة الَّتي سمَّاها دعاة الزَّردة «احتفالات دينيَّة» ويسجِّلون تلك الفضائح في الأفلام السِّينمائيَّة وينشرونها في العالم...

أيَّتُها الأمَّة!... إنَّ بعض المعروفين بالشِّدَّة والمعارضة لمصالحكم قد ظهر بمظهر السَّخاء والتَّساهل في هذه الزَّردة، وبعض الإدارات الَّتي كانت تعارض التَّعليم.. ـ وهو عملٌ إنساني ـ وتشحُّ في إعانة المشاريع الخيريَّة بالسَّانتيم قد ظهرت في هذه الزَّردة بمظهر المساعد المعين بالمال والجاه، فما معنى هذا؟ إن كنتم تفهمون[1]...

إنَّ النَّائب الدُّكتور يدجِّل باسم المساكين وباسم الإحسان وباسم الدِّين، فإذا كانت الزَّردة الَّتي يدعو إليها ليست من الدِّين، فكذلك الإحسان الَّذي يدَّعيه الدُّكتور ليس بإحسان، وقد عهدناه متخلِّفًا [نائمًا] في جميع المواقف الكبرى والأزمات الشَّديدة الَّتي يجب فيها الإحسان والدَّعوة إلى الإحسان...

(١) ليس له معنى إلَّا أنَّ هذه الزَّردة ليس منها أيُّ خيرٍ وصلاحٍ للأمَّة، إذ لو كانت كذلك لعارضها هؤلاء وعرقلوها كما عارضوا وعرقلوا التَّعليم والتَّهذيب الَّذي ينهض بالأمَّة، وأغلقوا المدارس واضطهدوا معلِّميها، ومنعوا العلماء المرشدين من دخول المساجد.

**أيُّها المسلمون! إنَّ اللُّحوم الَّتي تأكلونها في هذه الزَّردة حرام؛ لأنَّها ممَّا أُهِلَّ به لغير الله**، وإنَّ اللُّقم الَّتي تأكلونها هي ثمنٌ لضمائركم، وإنَّ هذه الأعمال كلَّها لعبٌ بكم وسخريَّةٌ بدينكم وفضيحةٌ لكم أمام الأجانب، وإنَّ آلات التَّصوير محضرة، والفخاخ منصوبة، فاحذروا ثمَّ احذروا، إنَّ مثل هذه الزَّردة قد وقع في تلمسان من عدوٍّ للإسلام، اشترى أتباع الطُّرق والدَّراويش بزَرْدَة، وسجَّل على شريط السِّينما كلَّ أعمالهم من المزامير والبنادير وأكل الحيَّات والأفاعي، ثمَّ نشر الفيلم في الدُّنيا كلِّها ليقول للعالم: هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون[1].

وإنَّ مثل زردتكم ليقع اليوم في عمالة وهران لا لوجه الله ولا للإحسان، ولكن للأغراض الَّتي ذكرناها لكم، فقارنوا بين من فعلها بالأمس وبين من يفعلها اليوم تعلموا أنَّ الغاية واحدة، وتتحقَّقوا ما يراد بكم وأنتم غافلون.

احذروا أن تقعوا في الفخِّ، وقاطعوا الَّذين اتَّخذوا دينكم هزؤًا ولعبًا، وابتعدوا عن «الزَّردة»، تقرَّبوا من الله !!!...

والسَّلام عليكم: أمضاه المجلس الإداري لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين»[2].

---

(١) وكان شاهدًا على هذا: الإمام الإبراهيمي ممثِّل جمعيَّة العلماء في عمالة وهران، والمرابط في تلمسان ـ أين تعشِّش الطُّرقيَّة ـ يحارب مردة الطُّرقيِّين، وقد ذكر هذا الكلام نفسَهُ بمزيد من البيان وأروعه في ـ سياق بيان **«أوزار الطُّرقيَّة الآثمة، ومصائبها على الإسلام»**، في: ـ الجزء الثَّاني من المقالة المعنونة بـ «كتاب «السَّعادة الأبديَّة»»، والَّتي نشرت في [جريدة «البصائر»، ع١٩، ١٥ ماي ١٩٣٦م]، وهي ضمن: «آثاره»(١/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) «البصائر»: ع٣٩، ٣٠ رجب ١٣٥٥هـ/ ١٦ أكتوبر ١٩٣٦م/ ص٤ ـ ٥.

✍ **ما بعد المنشور:**

يقول أحد الكتَّاب المصلحين: «وحديث هذه الزَّردة قد أطنبت الجرائد الفرنسيَّة وغيرها فيه كما أمعنت وبالغت في الدِّعاية إليها، ولكنَّها رغم ذلك كلِّه لم تكن إلَّا كغيرها من الزَّردات... وقد نشرت جريدة «البصائر» المنشور العام الَّذي أذاعته جمعيَّة العلماء على الأمَّة ضدَّ هذه البدعة الجديدة والحدث الَّذي لم يُسبق له نظير من أمثال ابن جلُّول...»[1]، ثمَّ يتحدَّث الكاتب عن:

✍ **ردَّة فعل الدُّكتور على منشور الجمعيَّة:**

حيث فضح المنشور مساعي «ابن جلُّول» فـ«التجأ إلى من كتب له منشورات في تبرير مهزلته ذرًّا للرَّماد في العيون» يريد أن «يغالط بها الأمَّة»[2]، يقول: «ونشر الدُّكتور أيضًا منشورًا كتبه له بعض أنصاره الكبار في بعض المكاتب الخاصَّة بمن التحق بهم حرَّف فيه الكلم القرآني عن مواضعه، وأُوِّلت فيه مقاصد الدِّين بما لا يليق بحكيم مثله أن يتأوَّله أو يحرِّفه، وأمضاه هو باسمه ونشره على النَّاس! فهل أصبح الدُّكتور عالمًا دينيًّا وشيخًا طرقيًّا وإمامًا ربَّانيًّا...»[3].

✍ **يوم الزَّردة الكبرى:**

ونقوم هنا بتلخيص حكاية الزَّردة الَّتي أقامها الدُّكتور يوم ١١ أكتوبر ١٩٣٦م، عن «جريدة «لَادِيبِيشْ [القسنطينية الاستعماريَّة]» تحت عنوان:

---

(١) «البصائر»: ع٤٠، ص٣.

(٢) «صدى زردة الشَّيخ... سيدي ابن جلُّول...»: [«البصائر»: ع٤٢، ص٢]، عن جريدة تونسيَّة.

(٣) المصدر نفسه.

«الزَّردة الكبرى بِكُدْيَة سيدي عاتي»: لم تشهد قسنطينة منذ سنة ١٨٨٦ زردة أو مظاهرة جمعت ما يزيد على خمسين ألفًا (٥٠٠٠٠) من رجال ونساء وأطفال، كالزَّردة الَّتي جرت يومي السَّبت والأحد ١٠، ١١ أكتوبر ١٩٣٦[١]، [ففي عشيَّة السَّبت أُسرجت المقبرة بالأنوار الكهربائيَّة ونُصِّبت مكبِّرات الصَّوت وضربت الخيام ونصبت «الطَّناجر»، وقد وقعت حركة ذهابٍ وإيابٍ كبرى بين المدينة والمقبرة، وإذ يدخل الدَّاخل المقبرة يرى جماعات، جماعات ملتفَّة، إمَّا حول خيمة، وإمَّا حول مكبِّر الصَّوت، وكانت هذه تذيع قصائد المديح وآيات الذِّكر الحكيم في سائر أنحاء المقبرة، ويقدَّر عدد من غشي المقبرة في هذه اللَّيلة بثلاثين ألفًا.

وصبيحة الأحد انعقد موكبٌ أمام «الجامع الكبير» شارك فيه الإخوان[٢] والمقاديم ومشائخ الطُّرق الصُّوفيَّة، وتلاميذ الكتاتيب القرآنيَّة، وكان هذا الموكب يضمُّ نحو العشرين ألفًا، ثمَّ توجَّه إلى المقبرة حاملًا الرَّايات الَّتي كانت تصفقها الرِّياح، والأذكار تتصاعد إلى عنان السَّماء وتتخلَّلها نغمات «الزَّرْنَة» وأصداء البنادير[٣]، وبعد أن يعطي الكاتب وصفًا شاملًا للاحتفال، بما جرى فيه

---

(١) وقد تناولت نفس هذه الصَّحيفة في مقال لها «أغراض الزَّردة الحميدة(؟) وفوائدها(؟)»، والأفراح الَّتي كانت تقام فيها وتسبقها، على أنَّها عادة قسنطينيَّة قديمة، كما ذكرت صحيفة أخرى بيانات تاريخيَّة عنها، وسبب إحداثها، وهو تكريم الوليِّ الصَّالح «سيدي عاتي» الَّذي سمِّيت المقبرة باسمه «مقبرة كدية سيدي عاتي».

(٢) هم المريدون؛ أتباع الطُّرق.

(٣) هذه صورة عن أذكار الصُّوفيَّة، مصحوبة بالمزامير وضرب البنادير، وهذا من أشنع بدعهم، حيث اتَّخذوا العبادة لهوًا ولعبًا.

من قراءة ودعوات وأناشيد، وما قدّم من إطعام للفقراء والمساكين، يقول: وحوالي السَّاعة الحادية عشرة قدم السِّلك الإداري وهو يتركَّب من... عامل العمالة و... شيخ المدينة، وأعضاء المجلس البلدي، والجنرال... وقد تلقَّاهم بمدخل المقبرة الدُّكتور ابن جلُّول [ونائبه] والشَّيخ المفتي ومشايخ الطُّرق الصُّوفيَّة والمقاديم، فطافوا بهم المقبرة وأطلعوهم على جوانب الحفلة...»[1].

ويصف كاتبٌ إصلاحيٌّ يوم الزَّردة؛ فيقول: «أتى أوَّل يوم من أيَّام الزَّردة فخفَّ أتباع الطُّرق إليها امتثالًا لأمر سادتهم وإحياءً لميِّت عاداتهم وخفَّ آخرون بقصد الاستطلاع على هذه الأعجوبة الَّتي اخترعها ابن جلُّول في القرن العشرين لتفاخر به الجزائر الأمم الحيَّة، وخفَّ آخرون إلى مشاهدة تلك المناظر المزرية بشرف الأهالي بقصد موافاة الصُّحف بمشاهداتهم، وإذا أردت أن أصف لك يومًا من أيَّامها أيُّها القارئ الكريم، فإنِّي أقتصر لك على يوم الأحد... فحوالي السَّاعة التَّاسعة صباحًا منه اجتمع بعض مؤدِّبي الصِّبيان وتلامذتهم وأتباع الطُّرق وأعلامهم وطبولهم ومزاميرهم والمنظِّمون لذلك الحفل بالجامع الأعظم، ومنه ساروا إلى المقبرة... ساروا والأعلام الطُّرقيَّة تُرفرف على الرُّؤوس والطُّبول والمزامير والأبواق تشدو بألحانها المختلفة حتَّى وصلوا بالحفل أو الجنازة إلى باب المقبرة، فدخل النَّاس وتأخَّر أصحاب الطُّبول والمزامير بالباب، وهبَّ أحد زملاء ابن جلُّول يعلِّق للنَّاس أوسمةً خضرًا مختلفة المراتب، وهي الشِّعار الَّذي اتَّخذه ابن جلُّول لأتباعه، ويرى الدَّاخل للمقبرة

(١) عن «مذكِّرات عبد الرحمن العقون» (٢/ ٩٩ ـ ١٠٣)، نقلًا عن جريدة «النَّجاح» القسنطينية.

الأخبية مضروبةً وقدور اللَّحم منصوبة، والمذياع يسمع النَّاس تلاوة الأوراد ونشيد الأولاد، وحوالي السَّاعة الحادية عشرة جمع ابن جلُّول مقاديم الطُّرق وقدَّمهم لعامل العمالة وكاتبيه وشيخ المدينة وقائد الجيوش وبعض الرَّسميِّين من الأوربيِّين الَّذين أتوا لهذا المنظر، وكان بين أولئك المقاديم رجلٌ أسمر اللَّون عندما قدَّمه ابن جلُّول للجماعة، قال: هذا سيِّدي أحمد التِّجاني، شيخ زاوية تماسين والإخوان يصفِّقون والخونيات يُوَلْوِلْنَ عند كلام ابن جلُّول، وبعد تقديم ابن جلُّول المقاديم للحكَّام ودَّعهم الحكَّام وخرجوا وعلا الهتاف بحياة فرنسا... وبعد ذلك وضعوا جفان الثَّريد للمزدردين...»[1].

✍ **زردةٌ أخرى بعاصمة الجزائر:**

وقد تلت «زردة ابن جلُّول» هذه، زردة أخرى «كبرى»، لم تختلف عن سابقتها، في الشَّكل والصُّورة، وفي الغاية والهدف، وكانت هذه الأخيرة في «عاصمة الجزائر»، كتب عنها أحد المصلحين، في جريدة «البصائر»[2]، تحت عنوان: «زردةٌ كبرى فوق العادة!»، وقد علَّقت عليها «البصائر»؛ فقالت: «لقد بلغتنا أنباء هذه «الزَّردة» الَّتي هي كغيرها من سابقاتها ولاحقاتها من الزَّردات... وعلمنا أنَّ المراد منها إنَّما هو محاربة جمعيَّة العلماء المسلمين وإحباط مساعي المؤتمر الإسلامي، خدمة لركَّاب المستعمرين وتوطيدًا لنفوذهم عسى أن تكون كلمتهم في الإصلاحات الجزائريَّة هي العليا؛ وكلمة المؤتمر ووفده

(١) «البصائر»: ع٤٢، ص٢.

(٢) العدد٥٣، ١٧ ذو القعدة ١٣٥٥هـ/ ٢٩ جانفي ١٩٣٧م، (ص٥).

وجمعيَّة العلماء هي السُّفلى!.. ولقد رأى غلاة المستعمرين أنَّ الوصول إلى كلِّ ما يأملون متيسِّر غير متعسِّر ما دام يجري على يد وبواسطة السَّادة مشايخ الطُّرق الكبار، أولياء الله الصَّالحين... خيَّب الله سعي الطُّرقيِّين، وخيَّب سعي غلاة المستعمرين الَّذين اتَّخذوهم آلة صيد، وأداة مَكْرٍ بهذه الأمَّة وكيده، وجعل كيدهم في تضليل».

✍ **منشورٌ من شعبة الجزائر لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين:**

وقد وزَّعت «شُعْبة» جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين بالجزائر العاصمة منشورًا، نشرته «البصائر» [العدد (٥٣)، ١٧ ذو القعدة ١٣٥٥هـ/ ٢٩ جانفي١٩٣٧م/ ص٧]، فيه تنديدٌ وتحذيرٌ من هذه «الزَّردة»، الَّتي أُعلن عنها، بلهجة صارمة شديدة، وها هو بنصّه، تحت العنوان المذكور أعلاه:

«في هذا اليوم العصيب، في هذا اليوم الَّذي يجتمع فيه مؤتمر الأَمْيَار ويجتمع فيه مؤتمر نوَّاب «الكُلُونْ» لمحاربة مطالبنا العادلة، ومعاكستنا، بقصد إبقائنا كعبيد وحيوانات عجم أذلَّاء مهانين في بلادنا، نتأخَّر حين يتقدَّم النَّاس، ونموت حين يحيَى النَّاس، **في هذا اليوم العصيب المظلم يعزم ساداتنا «الطُّرقيُّون» على عقد مؤتمر «البطون» أو زردة «سيدي امحمَّد»، مؤتمر يقيمه الأموات فوق قبور الأموات، مؤتمر الشَّطح والتَّطبيل والتَّزمير وأكل الكسكس، تقيمه هذه الطَّوائف الطُّرقيَّة الخسيسة الَّتي لا هَمَّ لها إلَّا بطونها** ولا غرض منها إلَّا تصوير هذه الأمَّة المسلمة بصورة الأمَّة المتوحِّشة المتهمجة القذرة؛ ليجعلوا ذلك دليلًا وحجَّةً على أنَّنا لا نستحقُّ الحقوق والمساواة مع الفرنسيِّين، هذا

هو قصدهم، ولذلك أرادوا جعل زردتهم في الوقت الَّذي نشرت فيه مطالبنا ورجال الأمَّة يعقدون الاجتماعات ويوالون الاحتجاجات ويبعثون الوفود إلى فرنسا؛ لأنَّهم قومٌ «**عْلَى كْرُوشْهُمْ خْلاَوْ عْرُوشْهُمْ**».

**أيُّها المسلمون! احذروا هؤلاء الدَّجاجلة، وحذِّروا منهم إخوانكم المسلمين، لا تشاركوهم في زردتهم الملعونة؛ لأنَّها بدعةٌ شنيعةٌ، وذبائحها «جيفةٌ» حرام لا تُوكل،** ولأنَّ الطُّرقيِّين سيأتون بأصحاب «السِّينما» ويصوِّرون حالة التَّأخُّر والهمجيَّة، ثمَّ يدفعون هذه الصُّور إلى أعدائنا المعارضين ليحتجُّوا بها علينا في مجلس الأمَّة بفرنسا.

إنَّ زردة «سيدي امحمَّد» مثل زردة قسنطينة، كلُّها مجعولةٌ من أموال بعض «الكُلُونْ» أعداء المسلمين، والمباشرون لها أذناب «الكُلُونْ» من الطُّرقيِّين وبعض النُّوَّاب الخائنين.

**قاطعوا هذه الزَّردة الخبيثة! وكلُّ من حضرها أو شارك فيها، فقد باء بإثمٍ عظيم**» «الشُّعبة».

ثمَّ كانت هذه «الزَّردة» باسم:

**✍ مؤتمر الزَّوايا ومشائخ الطُّرق الصُّوفيَّة:**

«نشطت حركة [طرقيَّة] أثناء سنة ١٩٣٧ لجمع الأنصار من جديد على نطاق واسع»، فتأسَّست بقسنطينة يوم ٤ فبراير ١٩٣٧م، «جمعيَّة الطُّرق الصُّوفيَّة» بعد عقد اجتماع عامٍّ بالزَّاوية التِّيجانيَّة الشَّهيرة بقسنطينة، وبعد ثلاثة أيَّام من التَّأسيس عقد مؤتمر الزَّوايا ورؤساء الطُّرق الصُّوفيَّة (الأوَّل) بمدينة

الجزائر»[1]، «لقد كان من عادة أصحاب الطَّريقة الرَّحمانيَّة ـ الخَلْوَتِيَّة ـ إقامة وفد كلَّ سنة لزيارة ضريح صاحب الطَّريقة الشَّيخ سيدي محمَّد بن عبد الرَّحمن دفين مدينة الجزائر، فكانت هذه السُّنَّة (؟) المعروفة، الَّتي كان يقوم بها شيخ الطَّريقة بقسنطينة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن أحمد المعروف ببَاشْتَارْزِي، نِعْمَت (؟) المناسبة للدَّعوة إلى إقامة مؤتمر ديني عامّ يحضره جميع رؤساء الزَّوايا والطُّرق الصُّوفيَّة وأنصارهم، فكان الوفاق وكانت الدَّعوة لانعقاد مؤتمر باسم «مؤتمر الزَّوايا ورؤساء الطُّرق الصُّوفيَّة بتاريخ السَّابع فبراير ١٩٣٧م الموافق ٢٦ ذي القعدة الحرام ١٣٥٥هـ، ونجد وصفًا شاملًا لهذا المؤتمر أو الاحتفال بقلم مكاتب جريدة «النَّجاح» بالعاصمة تحت عنوان: «مؤتمر ديني عظيم»، نختصر منه ما يلي: ...«ثمَّ لخَّص «عبد الرَّحمن العقُّون» ما جرى فيه، وبعد أن ذكر أسماء من خطبوا في اليوم الأوَّل من المؤتمر، وهم: «رئيس المؤتمر مصطفى القاسمي ثمَّ الشَّيخ الشَّريف الصَّائغي (الهاملي) مدير مدرسة السَّلام بقسنطينة...» إلخ، قال: «وفي اليوم الثَّاني ألقى الشَّيخ عبد الحي الكتَّاني درسًا ثمَّ تكلَّم السَّادة: أحمد ابن بسَّام، ثمَّ عبد الرَّحمن بن العقُّون ثمَّ الشَّيخ الرَّابحي...»[2]، هذا ما ذكره، وهكذا اختصره، ولم يُثْبِت أشياء، ولم يفصِّل فيها، وهي لصيقة بموضوعنا، وها أنا مثبتها، بعد الرُّجوع إلى جريدة «النَّجاح» [العدد (١٩٥٨)، الأربعاء ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٥هـ/ ١٠ فيفري ١٩٣٧م، ص١ ـ ٢].

قال المكاتب: «مؤتمر ديني عظيم يعقده رؤساء الزَّوايا ومشائخ الطُّرق

(١) هذا ما ذكره عبد الرَّحمن العقون في «مذكِّراته»: (٢/ ١١٤ ـ ١١٧).

(٢) «مذكِّرات العقون»: (٢/ ٦٨ ـ ٧٠).

الصُّوفيَّة بحديقة محي الدِّين بعاصمة الجزائر بمناسبة إحياء ذكرى العالم الصُّوفي سيدي محمَّد بن عبد الرَّحمن [الخَلْوَتِي] الأزهري»، «الجزائر ٧ فيفري ـ.. انعقد مؤتمر الزَّوايا ورؤساء الطُّرق الصُّوفيَّة في صبيحة هذا اليوم... حضر المؤتمر رؤساء جميع الزَّوايا بالقطر الجزائري نذكر من بينهم الشَّيخ مصطفى القاسمي شيخ زاوية الهامل، في بوسعادة، عمالة الجزائر... وحضر بالمؤتمر الشَّيخ عبد الحي الكتاني(١)... **دور الخطب**: ابتدأ الخطابة رئيس المؤتمر الشَّيخ مصطفى الهاملي... **في مقبرة سيدي محمَّد** ظلَّت الوفود تتقاطر على مقبرة وليّ الله سيدي محمَّد بن عبد الرَّحمن رَحِمَهُ اللهُ، **وقد وزِّعت جفان الكُسْكُس واللَّحم طيلة النَّهار وشطرًا من اللَّيل** وسيجتمع رؤساء الزَّوايا مرَّة ثانية صبيحة الاثنين **اليوم الثَّاني** الجزائر ٨ فيفري ـ... عقد مؤتمر الطُّرقيِّين ورؤساء الدِّين اجتماعه الثَّاني صبيحة الاثنين في حديقة محي الدِّين... وقد ألقيت خطب كلُّها بمحضر آلاف من المسلمين ورؤساء الزَّوايا، **تدور حول النّقط الدِّينيَّة... دور الخطب**:.. ثمَّ صعد المنبر السَّيِّد عبد الرَّحمن بن العقون، من وادي الزَّناتي، **فأعلن(٢) حملة شديدة على جمعيَّة العلماء واتَّهمها بأنَّها تريد إحداث القلاقل والاضطرابات بهذا الوطن، حيث إنَّها تحارب عوائد وتقاليد المسلمين وتريد أن تهدمها، ثمَّ قام الشَّيخ**

(١) ذكر الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي عن هذا الرَّجل: «أنَّه قضى عمره في نصر الطُّرقيَّة وضلالات الطُّرقيِّين ومحدَثاتهم بالقول والفعل والسُّكوت؛ وأنَّه خصمٌ لدود للسَّلفيِّين، وحربٌ عوان على السَّلفيَّة» [«الآثار» (٣/ ٥٤٤)].

(٢) هذا ـ وما بعده ـ ما لم يذكره «عبد الرَّحمن العقون» في مذكِّراته، وتحاشاه عند حديثه عن هذا المؤتمر (أو هذه الزَّردة)، وقد زعم في «مذكِّراته» أنَّه يتجرَّد «للحقيقة، والحقيقة وحدها»، فقد رأيتَ أنَّه كان من المهيِّجين ضدَّ المصلحين، ومن المدافعين عن عوائد ومواسم الشِّرك والبدعة، على أنَّها عادات الأجداد.

**الرَّابحي الإمام بمدينة البليدة فشرح نصوصًا من الدِّين وأصول الدِّين تسوِّغ إقامة «الزَّردات» والمآكل الدِّينيَّة العموميَّة**[1]، ثمَّ قام الشَّيخ محمَّد الطَّاهر بجو مدير جريدة «سيدي هنيني» فألقى خطابًا من نارٍ مملوءًا هجوًا وانتقادًا مرًّا ضدَّ جمعيَّة العلماء.. **درس الشَّيخ عبد الحي الكتَّاني:.. «توزيع الكُسْكُس» وزِّعت جفان الكسكس واللَّحم طيلة النَّهار وشطرًا من اللَّيل على تُعَسَاء العاصمة والزُّوَّار والفقراء»**.

✍ **الرَّدُّ على الشَّيخ الرَّابحي:**

أمَّا الشَّيخ الرَّابحي، الإمام بمدينة البليدة ـ ثمَّ صار بعد زمان، مفتي الدِّيار البليديَّة ـ، ثمَّ «رئيس قسم الفتوى» بـ«جامعة اتِّحاد الزَّوايا والطُّرق الصُّوفيَّة»، الَّتي تأسَّست سنة (١٩٣٩م)، فإنَّ خطبته المذكورة آنفًا ـ في إباحة الزَّردات ـ قد نشرتها بعض الجرائد المحليَّة، ولم أقف عليها، وقد نشرت جريدة «البصائر» [العدد (٥٧)، ٢٢ ذو الحجة ١٣٥٥هـ/ ٥ مارس ١٩٣٧م، ص٦]، ردًّا عليه، من أحد بلديِّيه؛ وهو الشَّيخ: «ابن قدُّور محمد»، تحت عنوان: «قلَّ وأفاد: **رسالة من ابن قدور محمَّد إلى الشَّيخ الرَّابحي**».

هذا، وإنَّ هذا الرَّدَّ نُشر بعد مقالات «الشِّرك ومظاهره»، المتعلِّقة بالزَّردة، وقبل «بيان» الشَّيخ بلقاسم، وقد تأمَّلت في ردِّ «ابن قدُّور»، فوجدته، يُركِّزُ حديثه في المنع من إقامة الزَّردة؛ على جهة المفاسد والمنكرات الَّتي تقع فيها، ولم يُطلْ في أصلِ هذه الزَّردات، وهو الذَّبائح الَّتي تذبحُ فيها، وهذا ما أفاض في بيان حكمه الشَّيخ مبارك، وتبعه الشَّيخ بلقاسم، وقد رأيتُ أن أُلحقَ مقالة «قلَّ وأفاد» بآخر «البيان»، كالتَّتمَّة للموضوع، واستكمالِ جوانبه والإتيانِ على جميع جهاته، والله الموفِّقُ.

---

(١) وهذا من الأسباب الَّتي دفعت الشَّيخ «بلقاسم» لتحرير «بيانه»، وسيأتي الحديث عنها قريبًا.

## الشيخ: «بلقاسم بن ارواق»
## الكاتب العام للجنة الدِّعاية

بعد مضيِّ خمس سنوات على تأسيس جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين رأى مجلسها الإداري أن يخطو «**خطوة جديدة**»؛ «فقد قرَّر المجلس الإداري في الجلسة المنعقدة في يوم (١٤ من شهر رجب الفرد عام ١٣٥٥ الموافق ١ أكتوبر ١٩٣٦، تأسيس أربع لجان فرعيَّة لأعمال خصوصيَّة وهي لجنة الأدب، ولجنة الدِّعاية ولجنة التَّعليم، ولجنة الإصلاح الاجتماعي»، ثمَّ نشرت القوائم المفصَّلة للجان وأسماء أعضائها، فوقع الاختيار على الشَّيخ بلقاسم ضمن «لجنة الدِّعاية»، حيث ورد اسمه مع تحديد مسؤوليَّته، فعيّن الشَّيخ السَّعيد الصَّالحي رئيسا لها، والشَّيخ عبد اللَّطيف القنطري نائبًا له، وتولَّى الشَّيخ بلقاسم مهمَّة «الكاتب العام» لهذه اللَّجنة»: «**رواق أبو القاسم كاتب عام قسنطينة**»[١].

أمَّا «لجنة الدِّعاية» ووظيفتها، فهي: تثبيت مبادئ الجمعيَّة بين الجمهور وتحسين سمعتها وردُّ المفتريات عنها، وتتوسّل إلى ذلك بتعليم أصول الدِّعاية إلى أعضاء الجمعيَّة ويجب على هذه اللَّجنة أن تعرض آراءها على المجلس الإداري[٢].

---

(١) «البصائر»: العدد ٣٨، ٢٣ رجب ١٣٥٥، ٩ أكتوبر ١٩٣٦م، ص٦.

(٢) «البصائر»: العدد ٨٦، ٨ رمضان ١٣٥٦هـ، ١٣ نفامبر ١٩٣٧م، ص٣ ـ ٥.

وإنَّ وقوع الاختيار على الشَّيخ «بلقاسم» لهذه المهمَّة، لم يكن عشوائيًّا، وها هو المجلس الإداري يؤكِّد ذلك، ويذكر أنَّه في تقسيمه المشايخ على هذه اللِّجان كان: «مراعيًا في كلِّ عضو اختصاصه القريب بأعمال اللَّجنة الَّتي نسب إليها وكفاءته المشهودة المبنيَّة على التَّجَارِب في العمل الخاصِّ باللَّجنة والقوَّة النَّفسيَّة الَّتي يعهدها في كلِّ عضو»(1) أمَّا بالنِّسبة لـ«بلقاسم» فإنَّه لقوَّة نفسه، وكفاءته وأهليَّته اختارته إدارة «الشِّهاب» نائبًا متجوِّلًا لها، وتقدَّم من مهامِّ النَّائب «الدِّعاية» لمجلَّة «الشِّهاب» «مرآة الإصلاح والمصلحين»، وتبليغ دعوتها، ولا شكَّ أنَّ السَّنوات الَّتي قضاها «بلقاسم» في هذا الميدان أكسبته تجارب، وقد تقدَّم شيءٌ عن محنته مع خصوم الإصلاح.

وانطلاقًا من دور هذه اللَّجنة وعملها، وتجسيدًا لوظيفتها، وفي سبيل ردِّ المفتريات على الجمعيَّة، وترسيخ مبادئها في إنكار كلِّ بدعة محدثة، وقمع كلِّ ضلالة، حرَّر الشَّيخ «بلقاسم» بيانًا، نُشر في جريدة «البصائر» على ثلاثة أجزاء، وعنوانه:

«الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ ـ فاجتنبوها أيُّها المسلمون! بيانٌ من الكاتب العام للجنة الدِّعاية».

فأظهر براعةً في الكتابة، وبرهن بذلك على كفاءته وأهليَّته، وإنَّ الشَّيخ «بلقاسم»؛ الَّذي كان أثناء سنة (١٩٣٦م) لا يزال بقسنطينة «يأوي إلى عرين الأسد»، وما مضى زمنٌ حتَّى نزل الميدان؛ معلِّمًا في «برباشة»، لهُوَ واحد من أعضاء الجمعيَّة العاملين، وجنودها المخلصين، وهو في طليعة من عناهم تقرير

(١) العدد ٣٨/ ص٦.

المجلس الإداري بقوله: «لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين جنودٌ تعتزُّ بهم وتفاخر، وتعتد بقوَّتهم وتباهي، وهم أَسِنَّتُها المشرعة في الجلاد، وألسنتها الذَّلقة في الجدال، وسهامها النَّافذة في مقاتل الضَّلال، وطالما رمت بهم في المعارك الفكريَّة فقرطسوا وأصابوا، وقذفت بهم في الميادين العلميَّة فسبقوا وجلوا، **هؤلاء الجنود هم أعضاؤها العاملون**، ما بين مشايخ مدرِّسين على مشربها وأساتذة معلِّمين على منهاجها، وخطباء مقايل في نشر مبادئها، وشعراء لسن في إذاعة مفاخرها، وكتَّاب بارعون في مختلف الأغراض... هؤلاء الجنود هم حملة الأمانة، وهؤلاء هم دعائم الحركة الإصلاحيَّة في الدَّعوة إليها والعمل بها، وهؤلاء هم سلاح اليوم، وذخيرة الغد وعتاد المستقبل... وقد مضت سنوات والمجلس الإداري المتمتِّع بثقة هؤلاء الجنود يفكِّر في كيفيَّة تنظيم هذه القوَّات وإعدادها فعليًّا للأعمال النَّافعة، وتشريكها في السِّياسة العمليَّة... وتوزيعها على الميادين... »، وإنَّ الشَّيخ بلقاسم قد أخذ بنصيب وافر من هذه الصِّفات، لا سيما في اختصاصه الَّذي أهَّله ورشَّحه ليكون الكاتب العام للجنة الدِّعاية، وقد تقدَّم ذكرُ وظيفتها.

✍ **بيان عن «لجنة الدِّعاية»:**

ثمَّ بعد مدَّة من الزَّمان، يصدر بيان عن **«لجنة الدِّعاية»** المتفرِّعة عن «المجلس الإداري» بقلم **«كاتبها العام» الشَّيخ بلقاسم بن ارواق.**

## «بيان» الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق»

### أسبابه، أغراضه، وميزاته

✍ **سبب تحرير «البيان»:**

كما ذكر الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» في التَّمهيد الَّذي مهَّد به قبل أن يشرع في الإفاضة في بيان مستند العلماء في حكمهم على: «الزَّردة»، فإنَّ السَّبب الَّذي دعاه إلى تحرير هذا البيان؛ هو:

ـ استمرار كثير من النَّاس على عمل «الزَّردة»، بأمر رؤساء الزَّوايا، وشيوخ الطُّرق، وإقرار ومدافعة علماء السُّوء، وفقهاء الجمود، ومنها: «زردة العاصمة»، فإنَّه قد أشار إليها في أوَّل «بيانه»، إذْ حرَّره على إِثرها؛ فقال:

«بيدَ أنَّ ظنَّنَا قد خاب وثقتنا بالقوم قد ضَعفت إن لم أقل تلاشت بتاتًا عندما رأينا مؤتمرهم ينعقد بعاصمة الجزائر، وقد حمل إلينا البريد ذلك الخطاب الَّذي فاه به رئيس القوم وشيخ زاويتهم، فهزَّت تلك النَّغمات البذيئة قلب كلِّ مبتدع فراح فَرِحًا مستبشرًا ونادى في أهله وعشيرته أنْ قد انتصرنا على جمعيَّة الوهابيِّين كما يسمِّيها ظلمًا وعدوانًا، ثمَّ جمع الوعدات والهدايا والنُّذور ونادى في النَّاس أن اجتمعوا غدًا في ضريح سيدي...»، وقد تقدَّم بسط ما جرى في تلكم «الزَّردة»، المسمَّاة بالمؤتمر الدِّيني، ومرَّ عليك محاولة أحد فقهائهم،

الاستدلال على جواز «الزَّردات»؛ إذ خطب «**الشَّيخ الرَّابحي الإمام بمدينة البليدة فشرح نصوصًا من الدِّين وأصول الدِّين تسوِّغ إقامة «الزَّردات» والمآكل الدِّينيَّة العموميَّة**»!

ـ أنَّ ما كتبه العلماء المصلحون، وما ذكروه من أدلَّة في حكمهم على الزَّردة بالشِّرك، قابله هؤلاء بالصَّدِّ وعدم القبول.. وهذان سببان غيرُ مباشرين.

ـ والسَّبب المباشر؛ هو أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» ـ المعلِّم في قرية «برباشة» ـ، كان قد تحاكم إليه جماعة من النَّاس تقبَّلت قلوبهم الإصلاح، واستجابوا لكلام العلماء؛ فقاطعوا الزَّردات والوعدات، ومن يدعو إليهما، فأغضب تصرُّفهم هذا شرذمةَ القبوريِّين، وقامت قيامتهم بالإنكار عليهم، فجعلوا الشَّيخ «بلقاسم» حَكَمًا بينهم وبين هؤلاء المنكرين، وقدَّموه يحاججهم بحجج الحقِّ، إذْ كان الشَّيخ بلقاسم عندهم من أهل العلم والبيِّنات، فأفتى «بحرمة الزَّردة وحرمة الأكل من ذبيحتها» ـ كما أفتى بذلك المجلس الإداريُّ للجمعيَّة الَّتي هو عضوٌ عاملٌ فيها ـ، وشفع ذلك ـ كما يقول ـ «بحججٍ قاطعة...»، إلَّا أنَّهم ـ أي هؤلاء الطُّرقيُّون القبوريُّون ـ ازدادوا عنادًا وإصرارًا على باطلهم، وبغيًا على مخالفهم، يقول: «فأبى عليَّ القوم وأنكروا ثمَّ بَغَوْا فنسبوني ـ وكلَّ مُحَرِّمٍ لبدعتهم ـ إلى الكفر»، ثمَّ ذكر الشَّيخ أنَّه كان على رأس هؤلاء «البغاة» شيخ أزهريٌّ[1]، يمدُّهم

(١) وقد كان هذا وأمثاله سببًا رئيسًا في بقاء النَّاس على الضَّلالات، بمعارضتهم للعلماء، ومدافعتهم عن الشِّرك، فضلُّوا وأضلُّوا كثيرًا، وقد شكا العلماء أمثال هؤلاء ممَّن ينتسبون إلى الأزهر، قال الإبراهيمي عن هذه الطَّائفة المضلّلة الَّتي قفلت من الأزهر، وأثرها السَّيِّء في الأمَّة: «فزادوها قرحًا على قرح، وكانوا ضغثًا على إبَّالَهْ...»، انظر: «السِّجل» (ص٤٩).

في الغيِّ.

وقد دعاه: «إلى المناظرة»، ثمَّ شرع الشَّيخ «بلقاسم» يخاطب هذا الأزهري، فقال: «وبعد، فإليك أيُّها الأزهريُّ مستندنا في حرمة الزَّردة وحرمة أكلها؛ لأنَّها ممَّا أهلَّ به لغير الله...»، وقال: «وبعد فأرعني سمعك أيُّها الأزهريُّ لأُرِيَك الحقَّ واضحًا، ثمَّ لتفعل ما بدا لك».

ـ كما كان من واجب الشَّيخ «بلقاسم» ومن حقِّ جريدة «البصائر» عليه، و«لجنة الدِّعاية» المتفرِّعة عن المجلس الإداري لجمعيَّة العلماء، الَّذي اختاره ليكون: «كاتبها العام»، من حقِّهم عليه أن يمدَّهم بالكتابة الإصلاحيَّة النَّافعة، والبحوث العلميَّة المسدَّدة، تُنشر في جريدتهم، وإنَّ من «الدِّعاية» الصَّالحة، دعوة النَّاس إلى الحقِّ، وتحذيرهم من الباطل، عن طريق الكتابة(١)، وتلك مهمَّة

(١) وقد كتب الإبراهيمي؛ يخاطب كتَّاب «البصائر» ويدلُّهم على مواضع الكتابة النَّافعة، فقال: «أمَّا أقلام كتَّاب «البصائر» فيجب أن تشرح الحقائق الكلِّيَّة من دينيَّة وعلميَّة، وتبيِّن الحقَّ بدلائله وشواهده، وتسمِّيه باسمه، وتشرح الباطل وتفضحه لشبهاته، وأوهامه بما نعهده فيها من نصرة الحقِّ والغضب له...» إلخ وصاياه [«الآثار» (١/ ٢١٠)]، كما دعاهم إلى «توحيد الجهود كلِّها إلى بيان» هذه الحقائق «بالدُّروس والمحاضرات و**الكتابة**»، وقد كان من آمال الشَّيخ أن يسهم تلاميذ الجمعيَّة وجميع أعضائها «مساهمة قيِّمة» «في الأبحاث العلميَّة» (١/ ١٩٣). بل إنَّ الإبراهيمي ذكر في أعمال الجمعيَّة ومقاصدها؛ أنَّها «تعهد إلى طائفة من كتَّابها أنْ يكتب كلُّ واحد في الفرع الَّذي يتقنه من فروع العلم النَّافعة على طريقة البحث العلمي» (١/ ٨٨).

«لجنة الدِّعاية» بالدَّرجة الأولى، كما قدَّمنا ذلك في الحديث عن وظيفتها.

ـ وكان من أمر أولئك «البغاة» أنَّهم نسبوا كلَّ محرَّم لبدعتهم «الزَّردة» إلى الكفر، فتصدَّى «بلقاسم» لردِّ هذه العادية، وإبطال هذا الزَّعم والفرية، فعمل على تحسين سمعة العلماء؛ فإنَّ دعاة الشِّرك وحماته من الطُّرقيِّين والعلماء الجامدين، نبزوا المصلحين بـ «الوهَّابيِّين»، وأفهموا العامَّة أنَّ معنى «الوهَّابي» هو: «الكافر بالله وبرسوله، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥]»، فأصبحت: «العامَّة لا تَعرف من مدلول كلمة «وهَّابي» إلَّا ما يعرفها به هؤلاء الكاذبون»[1].

✍ **موضوع «البيان»، وغرضه:**

لقد تناول الشَّيخ كما هو ظاهر من العنوان: موضوع «الزَّردة»[2] بالتَّحليل والبيان وأقام الأدلَّة والبراهين على حرمة عملها، وأنَّ ذبائحها شركيَّة، لا يحلُّ أكلها.

ـ ويبدو أنَّه أراد أَنْ يزيد ما ورد في منشور الجمعيَّة بيانًا، فإنَّ المنشور الَّذي خاطبت به الأمَّة، جاء على صيغة وصايا، ونداءات؛ اختصر فيها الكلام اختصارًا، واكتفى بخلاصة الحكم، وما يترتَّب عليه من اجتناب، فقال «المجلس الإداري»: «**أيُّها المسلمون! إنَّ اللُّحوم الَّتي تأكلونها في هذه الزَّردة**

---

(١) «آثار الإبراهيمي» (١/ ١٢٣).

(٢) كما تناول موضوع النَّذر لارتباطه بالزَّردة، وهو ما يعرف عند العامَّة بـ «الوعْدة»، وقد تناوله الشَّيخ مبارك أيضًا بالبحث.

حرام؛ **لأنَّها ممَّا أهلَّ به لغير الله**»، هذا ما ورد في المنشور، فكأنَّ «بلقاسم» أَرْدَفَه بالشَّرح والبيان، ومَدَّه بالأدلَّة والبراهين، محاجَّةً لمن عارض هذا الحكم واستنكره، وأبى أن يتَّبع كلام العلماء.

ـ كما رأى أن ينسج على منوال الشَّيخ مبارك الميلي، ويسلك طريقته في البحث، وبسط الأدلَّة(١) في تقرير ما أجمعت عليه كلمة العلماء المصلحين، فإنَّه وإن كان الشَّيخ مبارك قد سبق له أن جلَّى حقيقة هذه الذَّبائح، إلَّا أنَّ الشَّيخ «بلقاسم» وجد طوائف من النَّاس، لاسيَّما في القرية الَّتي كان معلِّمًا بها، لا يزالون مخدوعين بأولئك الرُّؤساء المضلِّين، لا يُقبلون على كلام العلماء النَّاصحين، ولا يَرضون عنه، فأحبَّ أن يكتب مرَّةً أخرى في الموضوع، ويتوسَّع فيه أكثر، حتَّى إنَّه أتى بالنُّقول الطَّويلة والكثيرة عن العلماء الماضين، طلبًا لاطمئنان هؤلاء لكلام الحاضرين «علماء الجمعيَّة»، وإقامةً للحجَّة على الباغين، وقد أفصح عن غرضه في قوله: «إنِّي أكتب للأُمَّة لا لهؤلاء الرُّؤساء الَّذين قتلهم التَّعصُّب الأعمى..»، كما جاء العنوان يحمل هذا المعنى: **«الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ! فاجتنبوها أيُّها المسلمون»**.

**✍ مِنْ ميزات «البيان»:**

كما علمنا قبلُ أنَّ غرض الشَّيخ هو إقناع من لم يرتض حكم العلماء،

(١) وكأنَّ هذا البيان الَّذي حرَّره: عَوْدٌ على ما كتبه الشَّيخ «مبارك» وَحَدٌّ خطوطه العريضة، وذلك بتكثير الشَّواهد عليه من كلام العلماء السَّابقين لهذا العصر الحاضر.

وطلب لذلك تكثير الشَّواهد، والإفاضة في النُّقول عمَّن مضى من العلماء.

وقد أتاح هذا «البيان» ذلك؛ بأن أوقف القرَّاء، وطالبي الحقيقة على نقولات قيِّمة من كتب من تقدَّم من المصلحين، ليصل من خلاله إلى أنَّ ما جاءت به «جمعيَّة العلماء» وأفتت به العموم، لم يكن بِدْعًا من القول، ولم يكن دينًا جديدًا خالفت به الأوائل، كما تلقَّف ذلك المغرورون والمخدوعون، فأراد أن يزيد الأمَّة اطْمِئْنَانًا، وقد أفاد هذا في ذاك الزَّمان:

الاطِّلاع على ما قد لا يتيسَّر لكلِّ النَّاس من الخاصَّة بَلْهَ العامَّة الاطِّلاع عليه، وما قد لا يقع في أيدي المشايخ فضلًا عن الطَّلبة والتَّلاميذ.

فمن أبرز ما ميَّز هذا «البيان»، وأضفى عليه أهميَّة، أن تيسَّر للشَّيخ «بلقاسم» الوقوف على كتاب ابن الأمير الصَّنعاني: «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، وهو كتابٌ قيِّم، فريدٌ في موضوعه، وقد نقل عنه الفقرات المطوَّلة، فأدَّى بذلك خدمةً علميَّةً عظيمةً للجميع، وأُوضِّح ذلك:

فرسالة الصَّنعاني هذه، لم يقف عليها العلَّامة الباحث المحقِّق المدقِّق الشَّيخ مبارك الميلي، ولم يستعن بها في تحريره لمقالة «الشِّرك»، كما لم يستعن بها ـ بعد ـ حتَّى في كتابة رسالة «الشِّرك»؛ إذ لم تحوها خزانته، ولم يرها عند أهل صداقته، كما اعتذر لقرَّائه بأنَّه لم يقف على كتاب مجموع على النَّسق الَّذي أراده في الموضوع(١)، وإنَّما وجد في كتاب «صيانة الإنسان» «نبذة منقولة من كتاب

---

(١) انظر: (ص١٥) من «رسالة الشِّرك».

«تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» لمحمد بن إسماعيل الصَّنعاني أحد علماء القرن الثَّاني عشر»[1]، ومن كتاب آخر للشَّوكاني[2].

والشَّيخ «بلقاسم» ـ كما هو الظَّاهر ـ كان ينقل منها مباشرة، إذ جعل يشير إلى الصَّحيفة، فكان أوفر حظًّا من الشَّيخ مبارك، وهذا ما أعطى «بيانَهُ» قيمةً علميَّة، لأجل مثل هذه الإضافة، وإنِّي لم أجد كتابةً سلكت هذه الطَّريقة، وأفاضت بالبيان العلمي بعد كتابة الشَّيخ مبارك، إلَّا «بيان» الشَّيخ بلقاسم هذا، فكانت من فرائد المقالات العلميَّة، في ذلك العهد.

* * *

(١) ما أشار إليه الشَّيخ مبارك من المنقول عن رسالة الصَّنعاني، موجود في «صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان» للسَّهسواني ـ الطَّبعة الثَّالثة ١٣٧٨هـ، المطبعة السَّلفيَّة ـ القاهرة، من (الصَّفحة: ١٥٠) إلى (ص١٥٢)، وقد اختار منها مواضع نقلها، مع اختصار (حذف) كما أشار مصحِّح الكتاب الشَّيخ رشيد رضا، وليس منها (أي تلك النُّبذ المنقولة) ما أطلع عليه «بلقاسم» قرَّاءَه.

(٢) هو كتاب «الدُّرّ النَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد»، نقل منه السَّهسواني مواضع كثيرة من (ص١٥٢) إلى (ص١٨٢).

# الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ
# فاجتنبوها أيُّها المسلمون !!..

«بيان من الكاتب العام للجنة الدِّعاية»

## الزَّردة رأس كلِّ شرٍّ... فاجتنبوها أيُّها المسلمون !!..
## «بيان من الكاتب العام للجنة الدِّعاية»

يذكر القرَّاء الكرام ما كان من «الزَّردات» الَّتي أقيمت في ظرف هذه السَّنة ونشاط الطُّرقيِّين في إحياء ما انْدَثَرَ وانقبر من البدع المحرَّمة بفضل دعاة الإصلاح وحماة الدِّين الحنيف.

وهم على علمٍ أيضًا مَن مُوقِدُ شرارتها الأولى وهو الدُّكتور «ابن جلُّول»، ذلك الرَّجل الَّذي وقف للإسلام وتعاليمه القيِّمة وقفة الجبَّار العنيد، فجعل «زردته» بقسنطينة وفي نفس مقبرتها، ويذكر القاري أيضًا تفاصيل ذلك الحادث الَّذي أريد به طعن الإسلام في الصَّميم، والَّذي أسال أوديةً من الحبر على صفحات الجرائد المحليَّة وغيرها[1]، وهو الَّذي حرَّك الأقلام وحفَّز الهمم، ونشَّط الدَّاعين إلى الله على بصيرة، كما نشَّط الهادمين المقوِّضين للإسلام والمحاربين لأهله، فكتب الكاتبون دفاعًا عن الإسلام وصَوْنًا لبيضته، وحارب المحاربون تثبيتًا للضَّلالة وتمكينًا لها في قلوب البسطاء ممَّن يتبعون كلَّ ناعق؛ وقد انتشرت شرارة «ابن جلول» من قسنطينة إلى عدَّة نواحٍ من القطر فأقيمت الزَّردات ونُحرت النَّحائر وسيقت الهدايا ـ وسَوْقُها لغير مكَّة حرام[2] ـ.

---

(١) تفاصيل هذا الحدث: «بين يدي «بيان» الكاتب العام للجنة الدِّعاية»، فانظرها.

(٢) هذه نصُّ عبارة الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، كما في مدوَّنة ابن القاسم، وسيأتي الكلام عليها لاحقًا.

وخطب الخاطبون مشجِّعين للباطل وناقدين للحقِّ، فكانت الصَّرخة الأولى من «قسنطينة» حيث وزَّع مكتب رئاسة «جمعيَّة العلماء المسلمين» منشورًا على الأمَّة بيَّن فيه حرمة هذه الذَّبائح وعلَّل الحرمة بكونها ممَّا أهلَّ به لغير الله[١]، ثمَّ هبَّ دعاة العلم وحملة الأقلام فكتبوا ما كتبوا حول هذا المعتقد السَّيِّء الَّذي سرى في المسلمين أهل القرآن والتَّوحيد، فلم يقنع القبوريُّون، فكتب الأستاذ الشَّيخ **«مبارك الميلي»** نشريَّاته المفيدة بجريدتنا «البصائر» الغرَّاء تحت عنوان **«الشِّرك ومظاهره»**[٢]، بيَّن فيها بالحجج القاطعة والبراهين السَّاطعة بطلان ما يعتقد بعض المسلمين اليوم، وقد استحالت هذه النَّشريات إلى رسالةٍ كما يعلم القرَّاء الكرام، وهي الآن ماثلةٌ للطَّبع وعن قريبٍ تبرز وفيها ما نُشر وزيادة، ولقد ظننَّا أنَّ الأستاذ كفانَا شرَّ القوم وقلنا سيعرفون الحقَّ ويتَّبعونه، وذاك ظنُّنا بكلِّ مسلم يدين بالكتاب العزيز وهدي السَّلف الصَّالح؛ لأنَّ المسلم مهما بلغ من الشَّرِّ فهو توَّاقٌ إلى الحقِّ متشوِّفٌ إلى الحقيقة؛ وكنَّا نظنُّ بأخينا المسلم أنَّه سيطرح التَّعصُّب الممقوت عندما يرى الحقَّ واضحًا؛ لأنَّ الحقَّ سيْفٌ يذيب الأوهام ويُذهب الأحقاد والأباطيل، والمسلم مهما كان فهو طالب حقٍّ يلتمسه حيثما وجده، بيدَ أنَّ ظنَّنا قد خاب وثقتنا بالقوم قد ضعفت إن لم أقل تلاشت بتاتًا عندما رأينا مؤتمرهم ينعقد بعاصمة الجزائر[٣]، وقد حمل إلينا البريد ذلك

---

(١) قد أثبتت جُلَّ هذا «المنشور»: «بين يدي «بيان» الكاتب العام للجنة الدِّعاية..»، فانظره

(٢) قد عملتُ ـ بحمد الله ـ على تحقيق مقالة «الشِّرك ومظاهره»؛ الأجزاء المتعلِّقة بـ«الذَّبائح» و«النُّذور» (وهي: الوعدات) يسَّر الله إخراجها.

(٣) انظر مجريات ذلك، تحت العناوين: «زردة أخرى بعاصمة الجزائر»، «مؤتمر الزَّوايا ومشايخ الطُّرق الصُّوفيَّة»؛ الَّتي: «بين يدي «بيان» الكاتب العام..».

الخطاب الَّذي فاه به رئيس القوم وشيخ زاويتهم، فهزَّت تلك النَّغمات البذيئة قلبَ كلِّ مبتدع، فراح فَرِحًا مستبشرًا ونادى في أهله وعشيرته أن قد انتصرنا على جمعيَّة الوهَّابيِّين كما يسمِّيها ظُلْمًا وعدوانًا، ثمَّ جمع الوعدات والهدايا والنُّذور ونادى في النَّاس أن اجتمعوا غدًا في ضريح سيدي... وقد أجاب قومٌ وأبى آخرون ـ ولا تنس أيُّها القاري أنَّ اليد الَّتي بعثت زردة قسنطينة هي الَّتي بعثت هذه، وقد تخلَّف القائلون بحرمة الزَّردة وحجَّتهم في ذلك منشور الجمعيَّة وكلام الأستاذ الميلي، فأغضب ذلك القبوريِّين وحاكموهم إليَّ ـ فأفتيتُ بحرمة الزَّردة وحرمة الأكل من ذبيحتها، ومستندي في ذلك **منشور الجمعيَّة الَّتي أنا أحد أعضائها العاملين** وثقتي بهيئتها الإداريَّة عظيمة جدًّا، ولم يكن مستندي في ذلك منشور الجمعيَّة فحسب، بل شفعت ذلك بحججٍ قاطعةٍ من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وأقوال الأيمَّة الموثوق بعلمهم، فأبى عليَّ القوم وأنكروا، ثمَّ بَغَوْا فنسبوني ـ وكلَّ مُحَرِّمٍ لبدعتهم ـ إلى الكفر، أفتى بذلك أزهريُّهم حسبما بلغني، وفي أوَّل أمس دعاني إلى المناظرة وسأجيب، ولئن كان حضرته من أنصار الطُّرق فأنا من أنصار الله، وإن كان أزهريًّا فأنا مسلم، ولا يضيرني بعد إن لم أكن أزهريًّا كمثله.. وبعد فإليك ـ أيُّها الأزهري! ـ مستندنا في حرمة الزَّردة وحرمة أكلها؛ لأنَّها ممَّا أهلَّ به لغير الله، فإن قنعت فقد كفينا شرَّ الفتنة، وإن أبيت فإنِّي محاجُّك أمام الله والملائكة والنَّاس أجمعين ومطالبُك ببيان مستندك في حلِّيَّة هذه الذَّبائح، وطريقتنا في البيان كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وكلام الأيمَّة الموثوق بعلمهم، ولا نقبل غير هذه الأصول الثَّلاثة[1].

(١) «**يتبع**» [«البصائر»: السِّلسلة الأولى، العدد ٦١: ٢٠ المحرم ١٣٥٦هـ/ ٢ أبريل ١٩٣٧م/ ص٣].

«الزَّردة» ليست من الدِّين كما يُتوهَّم؛ ولا كانت في يوم ما من البرِّ والإحسان إلى الفقراء كما يدَّعي ذلك مثبتوها، وهي بدعةٌ وضلالة؛ لأنَّها لم تكن في زمن النَّبيِّ ﷺ، ولا زمن الخلفاء الرَّاشدين ـ وهم أحرص النَّاس على الخير ـ، ولو كانت الزَّردة من عمل البرِّ لفعلها سَلَف الأمَّة وهم حماة الشَّريعة ودعاة الخير، ولا يتصوَّر أبدًا عزوب شيءٍ من الدِّين عن رجالٍ تلقَّوا أصوله عن المبلِّغ الأعظم ﷺ، وهم هم حماته الحقيقيُّون، الَّذين بذلوا دماءهم وأنفسهم في سبيل حمايته وإعزازه، حتَّى أوصلوه إلينا طاهرًا نقيًّا لم يُصَب بأذى، ومعلومٌ أنَّ من أحبَّ شيئًا فداه بنفسه، وهم رضوان الله عليهم فَدَوْهُ بكلِّ غالٍ وعزيزٍ، وبقدر حبِّهم له كان حرصهم على حفظه وإيصاله إلى البشر كما أخذوه عن صاحب الشَّريعة ﷺ، ولو كان ثمَّة شيءٌ من البرِّ لفعلوه، ولكانوا أشدَّ النَّاس تمسُّكًا به، وحيث لم تكن هذه «الأكلة الشَّعبيَّة» كما اصطلحوا على تسميتها في زمنهم، فهي قطعًا بدعةٌ وضلالة، ولو أنصف خصومنا لحكموا بضلالتها ولقالوا: بدعةٌ ضالَّةٌ يجب التَّخلُّص منها، ولكن ما الحيلة وقد أَبَوْا علينا إلَّا أن تكون من الدِّين وأرغمونا على التَّعليل والتَّدليل، وهم بعد هذا وذاك ليسوا بمؤمنين بالحقِّ ولا بمصدِّقين للعلم، ولو رأينا لإخواننا هؤلاء وجهًا من العلم ولو مرجوحًا لحملناهم عليه، ولَالْتَمَسْنَا لإخواننا من الدِّين المعاذير، بيد أنَّ القضيَّة لم تكن في شيءٍ من ذلك، وهي علاوةً على بدعيَّتها قد جمعت صنوفًا من الشَّرِّ والآثام، والمعتقدات الشِّركيَّة الصَّريحة ـ الَّتي لا تقبل التَّأويل ـ، ما بعث الجاهليَّة من جديد! وممَّا يبعث الأسى في النَّفس اعتقاد هذه الأباطيل من الدِّين وإبرازها في

صورةٍ دينيَّةٍ محضة، قلبًا للحقائق وتشويهًا للإسلام أمام الأجانب في عصر المدنيَّة والنُّور، ولو كان حماة «الزَّردة» وأبطالها من عامَّة النَّاس لهان الخطب وقلنا: قومٌ جاهلون يجب إفهامُهم، بيد أنَّ الأمر جَلَلٌ ـ فإنَّ من بين هؤلاء الحماة قومًا علماء ليسوا بالأغبياء ولا ممَّن تعزُب عنهم الحقائق، وهم الَّذين أقرُّوا البدعة وسَعَوا لتثبيتها؛ ولولا هذا الرَّهط لانهَار صَرْحُ هذه المعتقدات واندرست آثارها، غير أنَّ للباطل صولة، وللحقِّ بعد ذلك الاستقرار والدَّولة.

**لقد كُنْتُ طُرُقِيًّا في جملة أسرتي الَّتي ورثت ذلك خَلَفًا عن سلفٍ، وكنت في كلِّ أطواري باحثًا عن الحقيقة ومتشوِّفًا إليها، حتَّى إذا عرفتها تمسَّكت بأذيالها عاضًّا عليها بالنَّواجذ، وقد عافاني الله منها فرفضتها وأنا طفلٌ لم أبلغ بعد الخامسة عشر من العمر، فما ندمتُ يومًا ما على ذلك الرَّفض ـ وما ينبغي لي ذلك ـ، وما استحييت من خضوعي للحقِّ وانتهاجي منهجه، فهلَّا رجلٌ رشيدٌ يعترف للحقِّ ويسلك سبُله؟** ثمَّ إنِّي أكتب للأمَّة لا لهؤلاء الرُّؤساء الَّذين قتلهم التَّعصُّب الأعمى وحبّ التَّفوُّق والأنانيَّة، مع اعتقادي أنَّ للحقِّ أنصارًا، ولئن حاجَّنا أولئك الرُّؤساء بغير الحقِّ ووقفوا لنا كلَّ مرصدٍ يصدُّون ويوعدون فليسوا بظاهرين، وحسبهم من الشَّرِّ أنَّهم جند الباطل ومحاربو الإسلام، وبعد فأرعني سمعك ـ أيُّها الأزهري! ـ لأريك الحقَّ واضحًا، ثمَّ لتفعل ما بدا لك.

إنَّ الزَّردة بدعة أحدثها المُحْدِثُون كسائر البدع، وأنكرها أهل العلم قديمًا وحديثًا كما تشهد كتبهم وفتاويهم بذلك، فهذا الإمام الصَّنعاني صاحب «سبل

السَّلام» يقول في رسالته «تطهير الاعتقاد» ما نصُّه: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦] «﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة: ٤١] كما[1] عرف من علم البيان أنَّ تقديم ما حقُّه التَّأخير يفيد الحصر، أي: اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره، واتَّقوا الله ولا تتَّقوا غيره، كما في «الكشَّاف»، فإفراد الله بتوحيد العبادة لا يتمُّ إلَّا بأن يكون الدُّعاء كلُّه لله[2]، والنِّداء في الشَّدائد والرَّخاء لا يكون إلَّا لله وحده، والاستعانة بالله وحده، واللَّجأ إلى الله والنَّذر والنَّحر لله[3] تعالى، وجميع [أنواع][4] العبادات من الخضوع والقيام تذلُّلًا لله تعالى» إلى أن قال: ومن فعل ذلك لمخلوق حيٍّ أو ميِّت أو جماد أو غيره، فهذا شركٌ في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إلهًا لِعَابِدِيه، سواء كان ملَكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرًا أو قبرًا أو جِنِّيًّا أو حيًّا أو ميِّتًا، وصار بهذه العبادة أو بأيِّ نوعٍ منها عابدًا لذلك المخلوق وإن أقرَّ بالله وعبده، فإنَّ إقرار المشركين بالله وتقرُّبهم إليه لم يخرجهم عن الشِّرك، ثمَّ ساق حديث **«أَنَا**

---

(١) في مطبوعة «المنار» (ص٧ ـ ٨)، جاء السِّياق هكذا: «..فبعث الله محمَّدًا يدعوهم إلى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالرُّبوبيَّة أي بربوبيَّة السَّموات والأرض، وأن يفردوه بكلمة «لا إله إلَّا الله»، معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها، وأن لا يدعوا مع الله أحدًا... وأمر الله عباده أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ..﴾ [الفاتحة: ٥]...، إذ معناها نخصُّك بالعبادة ونفردك بها، وهو معنى قوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [العنكبوت: ٥٦] ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة: ٤١] كما عرف من علم البيان...» إلخ.

(٢) في طبعة المنار: «كلّه له».

(٣) في طبعة المنار: «والنحر له».

(٤) زيادة من طبعة المنار.

**أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**»[1] لا يقبل الله عملًا شُورك فيه غيره ولا يؤمن به مَن عبد معه غيره.. إلخ»، ثمَّ قال في الصَّفحة الَّتي تليها[2]: «إنَّ[3] من اعتقد في شجرٍ أو حجرٍ أو قبرٍ أو مَلَكٍ أو جنِّيٍّ أو حيٍّ أو ميِّتٍ أنَّه ينفع أو يضرُّ أو أنَّه يقرِّب إلى الله أو يشفع في حاجةٍ من حوائج الدُّنيا بمجرَّد التَّشفُّع به [....][4] فإنَّه [قد][5] أشرك مع الله [تعالى][6] غيره، واعتقد ما لا يحلُّ اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلًا عمَّن ينذر بماله وولده لميِّت أو حيٍّ، أو يطلب [من ذلك][7] ما لا يطلب إلَّا من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه إلى أن قال: والنَّذر بالمال على الميِّت ونحوه والنَّحر على قبره والتَّوسُّل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الشِّرك الَّذي كانت[8] تفعله الجاهليَّة، وإنَّما كان الجاهليَّة

---

(١) حديث قدْسي، رواه مسلم (كتاب الزُّهد: باب تحريم الرياء (أو) باب من أشرك في عمله غير الله) (رقم٢٩٨٥ ـ شرح النَّووي) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

(٢) الكلام السَّابق موجود في الصَّحيفة (٨)، وأوَّل الصَّحيفة (٩)، من طبعة المنار، وما سينقله موجود (في الصَّحيفة الَّتي تليها)؛ وهي: الصَّحيفة (١٠).

(٣) في طبعة المنار، جاء السِّياق هكذا: «قد عرفت من هذا كلِّه أنَّ من اعتقد في...» إلخ.

(٤) هنا كلام محذوف، لعلَّ الشَّيخ حذفه اختصارًا، لكنَّه لم يشرْ إلى ذلك، والله أعلم.

(٥) أثبتها من طبعة المنار.

(٦) أثبتها من طبعة المنار.

(٧) أثبتها من طبعة المنار.

(٨) في طبعة المنار: «الَّذي كان»، وقد قال المصحِّح ـ وهو الشَّيخ رشيد رضا ـ في الهامش: «وفي نسخة: كانت».

يفعلونه لما يسمُّونه وثنًا وصنمًا، وفعله القبوريُّون لما يسمُّونه وليًّا أو قبرًا أو مشهدًا، والأسماء لا أثَر لها ولا تغيِّر المعاني، ضرورة لغويَّة وعقليَّة وشرعيَّة، فإنَّ من شرب الخمر وسمَّاها ماءً ما شرب إلَّا خمرًا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعلَّه يزيد عقابه للتَّدليس والكذب في التَّسمية، إلى أن قال: وكذلك(1) تسمية القبر مشهدًا ومن يعتقدونه(2) وليًّا لا يخرجه عن اسم الصَّنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأوثان والأصنام، ثمَّ أنشد:

أعادوا بها معنى سُواع ومثله ... يَغوث ووَدّ ليس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشَّدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصَّمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة ... أهلَّت لغير الله جهرًا على عمد
وكم طائفٍ حول القبور مقبلًا ... ويستلم الأركان منهن بالأيد(3)

فإن قال: إنَّما نحرت لله وذكر(4) اسم الله عليه، فقل: إنْ كان النَّحر لله فلأيِّ شيء قرَّبت ما تنحره من باب مشهد من تفضِّله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟فإنْ قال نعم، فقل [له](5): هذا النَّحر لغير لله، بل أشركت مع الله [تعالى](6) غيره، وإن لم ترد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس

---

(1) في طبعة المنار: «فكذلك».

(2) في طبعة المنار (ص11): «يعتقدون فيه».

(3) «يتبع» [«البصائر»: العدد 63: 4 صفر 1356هـ/ 16 أبريل 1937م/ ص7].

(4) في طبعة المنار (ص12): «وذكرت».

(5) أثبتها من طبعة المنار.

(6) أثبتها من طبعة المنار.

الدَّاخلين إليه، فأنت تعلم يقينًا أنَّك ما أردت ذلك أصلًا ولا أردت إلَّا الأوَّل ولا خرجت من بيتك إلَّا لقصده، ثمَّ قال: وقد يقول هؤلاء القبوريُّون[1]: نحن لا نشرك بالله تعالى، ولا نجعل له ندًّا[2]، والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا، قلت: نعم، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ .. [آل عمران: ١٦٧] غير أنَّ هذا[3] منهم جهل[4] بمعنى الشِّرك، فإنَّ تعظيم[5] الأولياء ونحرهم النَّحائر لهم شرك، والله تعالى يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢] أي: لا لغيره، كما يفيده تقديم الظَّرف[6]، وقد سمَّى الله تعالى الرِّياء شِرْكًا[7] فكيف بهذه الأفعال[8]، فهذا الَّذي يفعلونه لأوليائهم، هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئًا؛ لأنَّ فِعلَهم كذَّب[9] قولهم، انتهى ما نقلناه من رسالة الإمام الصَّنعاني بالحرف[10].

وليعلم القرَّاء الكرام أنَّ هذا الإمام من أبناء القرن الحادي عشر، وليرض

---

(١) في طبعة المنار، جاء السِّياق هكذا: «فإن قلت هؤلاء القبوريُّون يقولون: نحن... إلخ».

(٢) في مطبوعة الجريدة، وردت اللَّفظة هكذا: «نداءات»، وصوَّبتها من طبعة المنار (ص١٣).

(٣) في طبعة المنار: «لكن هذا».

(٤) في طبعة المنار: «جهل منهم».

(٥) في طبعة المنار: «تعظيمهم».

(٦) علَّق مصحِّح الرِّسالة (الشيخ رشيد رضا) في الهامش، بقوله: «دعوى التَّقديم ممنوعة والحكم صحيح».

(٧) في طبعة المنار، جاء السِّياق هكذا: «وقد عرفت بما قدَّمناه قريبًا، أنَّه سمَّى الرِّياء شِرْكًا».

(٨) في طبعة المنار: «فكيف بما ذكرناه».

(٩) في طبعة المنار: «أكذب».

(١٠) بل مع حذف بعض الحروف، والتَّصرُّف في بعضها، والله أعلم.

خصومنا؛ لأنَّهم لا يؤمنون إلَّا بالقديم، ولأنَّ هذا الإمام ليس من معاصرينا، وقد أنكر بدعتهم هذه وحرَّمها، ثمَّ جعلها شركًا وحكم على صاحبها بالشِّرك، ولم يكن ذلك من الإمام عن ظنٍّ أو تخمين، بل عن بصيرة وتبصُّر، فقد أقام الأدلَّة والشَّواهد على كلِّ ذلك مستضيئًا بنور الكتاب والسُّنَّة وهدي سلف الأمَّة، وبهذا وغيره حكمنا بحرمة الزَّردة وحرمة الأكل من ذبيحتها، وإلى القاري ما جاء في كتاب «نيل الأوطار» للإمام الشَّوكاني، قال في الجزء الثَّامن صفحة (١١٥)[1] عند الكلام عن حديث الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولفظه: عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ**» رواه أحمد ومسلم والنَّسائي[2]: «[«قوله: لعن الله من ذبح لغير الله»][3] المراد به أن يذبح لغير الله تعالى، كمن ذبح للصَّنم أو للصَّليب[4] أو لموسى أو لعيسى ـ عليهما السَّلام ـ أو للكعبة ونحو ذلك، فكلُّ هذا حرام، ولا تحلُّ هذه الذَّبيحة سواء كان الذَّابح مسلمًا أو كافرًا، وإليه ذهب الشَّافعي

(١) «نيل الأوطار»: (باب الذَّبح وما يجب له وما يستحبُّ ـ الحديث الأوَّل) [الجزء٨، ص١٤٥، ط.٣/ ط.البابي ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م].

(٢) رواه: أحمد في «المسند» (رقم٨٥٥ ـ مؤسَّسة الرِّسالة)، ومسلم (كتاب الأضاحي: باب تحريم الذَّبح لغير الله تعالى ولعن فاعله) (رقم١٩٧٨ ـ شرح النَّووي)، والنَّسائي (كتاب الضَّحايا: باب من ذبح لغير الله عز وجل) (ج٧/ ص٢٣٢ ـ شرح السُّيوطي والسِّندي).

(٣) زدتها من «نيل الأوطار».

(٤) في «ط.البابي»: «أو الصَّليب». وكذا في «شرح مسلم» (ج١٣/ ص١٤١ ـ ط. دار إحياء التُّراث).

=

وأصحابه، فإِنْ قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذَّابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذَّبح مُرْتَدًّا». انتهى كلام الإمام الشَّوكاني(1).

---

= قال الشَّوكاني على إثر الكلام المتقدِّم: «وذكر الشَّيخ إبراهيم المروزي من أصحاب الشَّافعي أنَّ ما يُذبح عند استقبال السُّلطان تقرُّبًا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنَّه ممَّا أهلَّ به لغير الله، قال الرَّافعي: «هذا إنَّما يذبحونه استبشارًا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة النَّبيِّ ﷺ» اهـ.

وهذه العبارة كلُّها بحروفها ـ مع تصرُّف يسير ـ نقلها الشَّوكاني عن: الإمام النَّووي في «شرح مسلم» [ج١٣/ ص١٥٠ ـ ١٥١، ط. دار القلم، و: ج:١٣/ ص١٤١ ـ ط:٣، إحياء التراث العربي]، وتعليقة المروروذي قد أخذها النَّووي من ضمن كلامٍ للرَّافعي [ت: ٦٢٣هـ] في: «العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير» [ج١٢ص٨٤ ـ ٨٥ ـ ط. الكتب العلمية]، إذ نقل جلَّ كلامه في (كتاب الضَّحايا والصَّيد والذَّبائح) في «روضة الطَّالبين وعمدة المفتين» [ج٢ ص٤٧٣ ـ ط. المكتبة التجارية.مكَّة ـ دار الفكر ١٤١٥هـ]، ونقل مثل ذلك في: «المجموع شرح المهذب» [ج٨ ص٤٠٩ ـ ط. دار الفكر]، «وقد ورد في جميعها نسبة الشَّيخ إبراهيم هكذا: المروروذي» (كما ورد في جميعها: «لولادة المولود» وليس «لولادة النَّبي»، ولعلَّها محرَّفة عن الأولى، كما أنَّه لا وجه لها هنا، والله أعلم».

ومن بديع تحقيقات الشَّيخ مبارك الميلي في «رسالة الشِّرك ومظاهره» (ص٢٣٥)؛ بعد ما نقل ما في «شرح مسلم»:

«ونقلُه عن الرَّافعي غيرُ مخالف لفتوى أهل بخارى إلَّا بالقصد، فهو خلاف في حال، فمن قصد التَّقرُّب للأمير صدقت عليه تلك الفتوى، ومن قصد مجرَّد السُّرور به أفتى له بقول الرَّافعي»، وانظر في تفصيل هذه المسألة، ما جمعته بعنوان: **«حكم ما يُذبح عند استقبال الملوك والسَّلاطين والرُّؤساء»**، يسَّر الله إخراجه.

وأذكر[1] أنَّ علماء بخارى تشدَّدوا حتَّى فيما ذبح لضيافة الأمير فأفتوا بعدم أكله، وقالوا:

إنَّه ممَّا أهلَّ به لغير الله، كما ذكر ذلك الشَّيخ إبراهيم المَرْوَزِي[2] وكأنَّهم راعوا فيه معنى الإلزام خوفًا من إذاية الأمير، فألحقوه بما أهلَّ به لغير الله[3]، غير أنَّ ذلك قد ردَّه العلماء وألحقوه بالعقيقة[4].

---

(١) وردت في مطبوعة الجريدة، هكذا: «واذكر».

(٢) هو: إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن علي بن عطاء المَرْوَرُّوذِي؛ الإمام أبو إسحاق، ولد في ذي القعدة سنة (٤٥٣هـ)، كان أحد أئمَّة المسلمين، ومن كبار العلماء العاملين، أصله من قرية يقال لها: فَلْحار، من قرى مَرْو الرُّوذ، توفي سنة (٥٣٦هـ). انظر: «طبقات الشَّافعيَّة الكبرى» للسُّبكي (ج٧/ ص٣١ ـ ٣٢ ـ ط. هجر).

(٣) مذهب أهل بخارى ليس تشدُّدًا، بل هو التَّحقيق، لأنَّ حكمَهم كان على الذَّبح **تقرُّبًا** للأمير، وليس على الذَّبح **ضيافةً** له، **فتنبَّه!** وقد تقدَّم عن الشَّيخ مبارك الميلي توجيه مذهبهم ومذهب الرَّافعي، ولم يطَّلع الشَّيخ «بلقاسم بن ارواق» على تحقيق الشَّيخ مبارك، إذْ لم تكن «رسالة الشِّرك» قد طُبِعَتْ بعدُ، ولم يأت هذا النَّقل في «مقالة الشِّرك»، لكن الشَّيخ «بلقاسم» وجَّه مذهب أهل بخارى توجيهًا مقبولًا، فقد حمله على ما إذا ذَبحوا للأمير خوفًا منه، فيكون تقرُّبهم له بالذَّبح دفعًا لشرِّه، فقصدهم هذا لا يخرج عن معنى القربة الَّتي هي عبادة، فيكون تقرُّبهم له رهبةً كما قد يكون رغبةً، وكلٌّ من الرَّهبة أو الخوف والرَّغبة من العبادات القلبيَّة، وقد تقدَّم أنَّ المدار في كلِّ هذا على قصد القلب وإرادته، وعلى توجيه «بلقاسم»، فهذه صورة من صور التَّقرُّب بالذَّبح للأمير، والَّتي هي من قبيل الحرام والشِّرك بالله وهذا شبيه بمسألة: **«الذَّبح للجنِّ خوفًا من إذايتهم»**.

(٤) يشير إلى ما عقَّب به الرَّافعي على فتوى أهل بخارى، والَّذي أتى النَّووي بخلاصته، وتبعه على ذلك الشَّوكاني وغيره، وقد سبق لنا توجيه كلا المذهبين، قال الشَّيخ سليمان آل الشَّيخ في «تيسير العزيز الحميد» (ص١٥٨ ـ مكتبة الرِّياض الحديثة) معلِّقًا على قول الرَّافعي: «..هو كذبح العقيقة لولادة المولود»: «قلت: إنْ كانوا يذبحون **استبشارًا** كما ذكر الرَّافعي فلا يدخل في ذلك، وإن كانوا **يذبحونه تقرُّبًا إليه** فهو داخل في الحديث [أي: «لعن الله من ذبح لغير الله»] اهـ. =

أمَّا سبب ورود هذا الحديث، كما جاء في كتاب «البيان والتَّعريف» من الجزء الثَّاني صفحة (١٦٢)[1] من طريق مسلم عن عامر بن واثلة[2]، قال: كنت عند عليِّ بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النَّبيُّ ﷺ يُسِرُّ إليك، قال: فغضب، وقال: ما كان النَّبيُّ ﷺ يسرُّ إليَّ شيئًا يكتمه النَّاس، غير أنَّه [قد][3] حدَّثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هُنَّ يا أمير المؤمنين! قال: قال: «**لَعَنَ اللهُ** فذكره». **وفي هذا إبطال لما يدَّعيه متصوِّفونَا مِنْ أنَّ مبتدعاتهم تتَّصل سلسلتها لصاحب «الخِرْقَة»، يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فردَّ هذا الحديث تُرَّهَاتِهِم،**

---

= وأمَّا قياس استقبال الأمير بالذَّبيحة على استقبال المولود بالعقيقة، فيقول الشَّيخ سليمان الحمدان في «الدُّرّ النَّضيد على أبواب التَّوحيد» [مكتبة الصَّحابة ـ جُدَّة. ط٤/ ١٤١٣هـ] (ص٨٤) بعد ذكره ما تقدَّم: «.. وإنِّي لأعجب من كلام الرَّافعي وقياسه الذَّبح للسُّلطان تقرُّبًا إليه وتعظيمًا له عند قدومه الَّذي هو شرك أكبر على العقيقة الَّتي هي سنَّة نبويَّة، وأعجب منه موافقة الشَّارح [أي: سليمان آل الشَّيخ] لهُ على ذلك، **وهذا القياس إنَّما يصحُّ لو كانت العقيقة مشروعة عند وضع المولود، وهي إنَّما تشرع في اليوم السَّابع من الولادة فما بعده...**» اهـ. وانظر مزيدًا من البيان في هذه المسألة، ما جمعته تحت عنوان: **«حكم ما يُذبح عند استقبال الملوك والسَّلاطين والرُّؤساء»**، يسَّر الله إخراجه.

(١) «البيان والتَّعريف» (ج٢/ ص١٦٢) صنعة العلَّامة المحدِّث ابن حمزة الحسيني/ ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت (١٤٠١هـ)، وهي مصوَّرة عن الطَّبعة القديمة الَّتي نقل الشَّيخ بلقاسم عنها، لذا تطابق رقم الجزء والصَّفحة.

(٢) تحرَّفت في الجريدة إلى: «وائلة».

(٣) أثبتها من الطَّبعة المشار إليها.

**فبطل ما كانوا يؤفكون**[1].

ثمَّ إنَّ النَّذر لغير الله محرَّمٌ[2] باتِّفاق أهل العلم، وهو الَّذي يعبِّر عنه الفقهاء بنذر المعصية، وقد قال الإمام مالك في «الموطَّأ» من الجزء الأوَّل صفحة (٣١٦) عند قوله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**»[3]: «معنى قول رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**» أن ينذر الرَّجل أنْ يمشي إلى الشَّام أو إلى مصر أو إلى الرَّبذة أو ما أشبه ذلك ممَّا ليس لله بطاعة، إن كلَّم فلانًا أو ما أشبه ذلك، فليس عليه في شيء من ذلك شيء إنْ هو كلَّمه أو حنث بما حلف عليه؛ لأنَّه ليس لله في هذه الأشياء طاعة، وإنَّما يوفَّى لله بما له فيه طاعة»، **هذا حكم الإمام مالك في النُّذور الَّذي نزعم اتِّباعه، وأين هذا ممَّا يفعله أدعياء اليوم من**

(١) قال السَّخاوي (ت٩٠٢هـ) في «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» (ص٣٣٥): «حديث: لبس الخرقة الصُّوفيَّة وكون الحسن البصري لبسها من علي، قال ابن دحية وابن الصَّلاح: **إنَّه باطل**، وكذا قال شيخنا (يعني: ابن حجر): إنَّه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنَّ النَّبيَّ ﷺ ألبس الخِرْقَة على الصُّورة المتعارفة بين الصُّوفيَّة لأحدٍ من أصحابه، ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك، وكلُّ ما يروى في ذلك صريحًا باطلٌ...» اهـ.

(٢) قال في «رسالة الشِّرك» (ص٢٤٩): «فإن كان النَّذر للمخلوق من نبيٍّ أو وليٍّ فهو شرك بالله في هذه العبادة، يحرم الإقدام عليه والوفاء به معًا».

(٣) رواه البخاري (كتاب الأيمان والنُّذور: باب النَّذر في الطاعة) (رقم٦٦٩٦ ـ فتح الباري)، وهو في «موطَّأ مالك» (كتاب النُّذور والأيمان) (ص٣٨٤ ـ ط. دار الآفاق الجديدة، مراجعة فاروق سعد)، وعقِب الرِّواية: «قال يحيى وسمعت مالكًا يقول معنى قول رسول الله...» فذكره.

**سَوْقِهم النُّذور والهدايا إلى الأضرحة البعيدة[1] وإراقة دمها بين القبور تزلُّفًا لأهلها وتقرُّبًا لهم من دون الله، ثمَّ من بعد هذا كلِّه «أكلة شعبيَّة» وعمل برٍّ وخيرٍ، رُغم الإسلام ورغم تعاليمه، اللَّهُمَّ إنَّ هذا بهتانٌ كبير.**

ثمَّ أين ـ يا أخا الأزهر! ـ جواب قومك وقد نحروا لنزول المطر تقرُّبًا إلى

---

(١) جاء في «المدوَّنة الكبرى للإمام مالك» رواية الإمام سحنون عن الإمام ابن القاسم [ج٢/ ص٢١ ـ دار الفكر]، فصل: «في الرَّجل يحلف بالهدي أو ينحر بدنة أو جزورًا)»: «..**قال: وسَوْق البُدْن إلى غير مكَّة من الضَّلال**»، قال الدُّسوقي [ت١٢٣٠هـ] في «حاشيته» على «الشَّرح الكبير»: «قوله: «**أو نذر هَدْي**» أي لا يلزم حيوان كعجل أو خروف نذره بلفظ الهدي أو بلفظ البدنة لغير مكة «**وبعثه واستصحابه**» وكذا بعث لحمه من الضَّلال أيضًا هذا هو المشهور، ومذهب «المدوَّنة». قال في «التَّوضيح»: لأنَّ في بعثه شبهًا بِسَوْق الهَدْي، وقد علمتَ أنَّ سَوْق الهَدْي لغير مكَّة من الضَّلال»، وقد قال الدَّردير [ت١٢٠١هـ] في «الشَّرح الكبير على مختصر خليل» [ج٢/ ص٤٧١ ـ د. الكتب العلمية] (باب الأيمان ـ فصل في النَّذر): ««**أو**» نذر «**هَدْي**» بلفظه أو بدنة بلفظها «**لغير مكَّة**» كقبره ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فلا يلزمه شيء فيهما ولا بعثه ولا ذكاته بموضعه، بل يمنع بعثه ولو قصد الفقراء الملازمين للقبر الشَّريف أو لقبر الوليِّ؛ لقول «المدوَّنة»: سَوْق الهدايا لغير مكَّة ضلال، أي: لما فيه من تغيير معالم الشَّريعة، فإن عبّر بغير لفظ هدي أو بدنة أو خروف فلا يبعثه، بل يذبحه بموضعه وبعثه أو استصحابه من الضَّلال أيضًا..».

وقد قال ابن باديس في «مجالس التَّذكير» عند الكلام على آخر آية سورة يوسف: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]: «لتأكيد أمر مباينة المشركين، «والبعد عن الشِّرك بجميع وجوهه وصوره جليَّة وخفيَّة»، في جميع مظاهر شركهم، حتَّى في صورة القول... **أو في صورة الفعل: كأن يسوق بقرة أو شاة مثلًا إلى ضريح من الأضرحة، فإنَّه ضلالٌ كما قاله «الشَّيخ الدَّردير في باب النَّذر»**، فضلًا عن عقائدهم...» [انظر: «تفسير ابن باديس» (ص٥٣٠ ـ ٥٣١/ ط. الفكر)، جمع: توفيق شاهين، والصالح رمضان].

القبر وطلبًا من صاحبه ما لا يجوز طلبه إلَّا مِنَ الله، لقد قامت الحجَّة، وظهرت المحجَّة، وأُفحم الخصم، وإنَّك إن عاندت لَعَلَى عُتُوٍّ كَبِير، ثمَّ إذا كان النَّذر المكرَّر والمعلَّق غير مرخَّص فيه مع أنَّه لله؛ فكيف به إذا كان لغير الله؟ وقد كره الفقهاء هذين النَّوعين من النَّذر، والنَّذر المكرَّر هو أن تخصَّ يومًا بعينه مثلًا بالعبادة من دون سائر الأيَّام، والمعلَّق أن تقول: إنْ شفى الله مريضي أو ردَّ غائبي فعليَّ صدقة كذا، ووجه الكراهة أنَّه كالمجازاة والمعاوضة لا القربة المحضة، والعبادات يجب أن تكون خالصةً لوجه الله الكريم بدون إشراك ولا مجازاة ولا معاوضة، طبقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾ [البينة: ٥]، وإذا كان فيها شيء من هذا فليست خالصةً لله، وقد قال الدَّردير في «أقرب المسالك»[1] عند الكلام على هذين القسمين: وظاهره ولو كان المعلَّق عليه طاعة نحو: إن حججتُ فللَّه عليَّ كذا، وهو ظاهر التَّعليل [أيضًا]؛ لأنَّه في قوَّة إن أقدرني الله على الحجِّ لأُجَازِيَنَّه بكذا، ولا شكَّ في كراهة ذلك، وقال الشَّوكاني في «فتح القدير»[2] عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ...﴾ [البقرة: ١٧٣]: «والإهلال رفع الصَّوت، يقال: أهلَّ بكذا، أي رفع صوته[3]. والمراد هنا: ما ذكر

---

(١) كلام الدَّردير (ت١٢٠١هـ)، إنَّما هو في شرحه المختصر المسمَّى: «الشَّرح الصَّغير» على مختصره: «أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك»، وهو في: [ج٢/ ص٦٢٠ ـ بهامش «بلغة السَّالك» للصَّاوي، ط. الدَّار السُّودانيَّة].

(٢) [ج١/ ص٢١٦ ـ ط٢. المعرفة ـ بيروت.١٤١٦هـ، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف العش].

(٣) هنا كلام محذوف اختصره مَنْ نَقَل عن الشَّوكاني.

عليه اسم غير الله كاللَّات والعزَّى إذا كان الذَّابح وثنيًّا، والنَّار إذا كان الذَّابح مجوسيًّا، ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله، ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذَّبح على قبورهم، فإنَّه ممَّا أهلَّ به لغير الله ولا فرق بينه وبين الذَّبح للوثن».

وقد حكم الشَّوكاني كما حكم الصَّنعاني بحرمة هذه الذَّبائح للعلَّة المذكورة، ولا يقال: إنَّا لا نذكر عليها اسم غير الله حتَّى تلحق هذه بتلك؛ لأنَّا نقول: قد قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١)، ونيَّة الذَّابح كانت للوليِّ، ولولا ذلك ما شدَّ الرَّحل إليه ولو كان صادقًا لَذَبَحَها في بيته وجعلها صدقةً على من شاء، أمَّا وقد شدَّ الرَّحل وأبى أن تذبح إلَّا على القبر أو باب المشهد، فهي لغير الله، ولا نعتبر هنا إلَّا النِّيَّة؛ لأنَّها أساس العمل، والقول إذا لم يكن عن اعتقاد لا ينفع صاحبه، كما قال الإمام الصَّنعاني في رسالته، وقد دلَّت القرينة على فساد المعتقد، **على أنَّا لا نسلِّم بأنَّ الذَّابح لم يذكر اسم صاحب القبر على ذبيحته، فقد شاهدت بنفسي ـ وأنا من أبناء الزَّوايا ـ كثيرًا من هؤلاء يهلُّون بذبائحهم لأصحاب القبور وحتَّى للشَّجر والحجر**، وقد قال حجَّة الإسلام «محمَّد رشيد رضا» رحمه الله في كتاب «الوحي المحمَّدي»(٢) عند الكلام عن الفرق بين المعجزة والكرامة، وبعد أن أوضح الفرق قال: «جهل هذا الأصل المحكم من عقائد الإسلام أدعياء(٣) العلم من سَدَنَة القبور المعبودة

(١) رواه البخاري (كتاب بدئ الوحي: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) (رقم١ ـ فتح الباري)، ومسلم (كتاب الإمارة: باب قوله ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّة») (رقم١٩٠٧ ـ شرح النَّووي).

(٢) «الوحي المحمَّدي» (ص١٧٠، ط. ٢/ ١٣٥٢هـ. مطبعة المنار بمصر).

(٣) وردت في «الجريدة»: «أدعية»، والتصحيح من طبعة المنار.

وغيرهم، فظنُّوا أنَّ المعجزات والكرامات أمور كَسْبِيَّة كالصِّناعات العادية، وأنَّ الأنبياء والصَّالحين يفعلونها باختيارهم في حياتهم وبعد مماتهم متى شاءوا، ويغرون[1] النَّاس بإتيان قبورهم ولو بشدِّ الرِّحال إليها لدعائهم والاستغاثة بهم عند[2] نزول البلاء والشَّدائد، الَّتي يعجزون عن دفعها بكسبهم وكسب أمثالهم من البشر بالأسباب العاديَّة كالأطبَّاء مثلًا، **وبالتَّقرُّب إليهم**[3] بالنُّذور والقرابين كما كان المشركون يتقرَّبون **إلى آلهتهم** من الأصنام وغيرها، «وهم يأكلونها سُحْتًا حرامًا»[4].

وقال الإمام الصَّنعاني في «سبل السَّلام» في الجزء الرَّابع صفحة (١٥١)[5] عند الكلام عن النَّذر المحرَّم بعد أن تكلَّم عن حديث ابن عمر ﵁ ولفظه: عن ابن عمر ﵄ عن النَّبيِّ ﷺ **أنَّه نهى عن النَّذر، وقال: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»** متَّفق عليه[6]، هذا، وأمَّا النُّذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات فلا كلام في تحريمها؛ لأنَّ النَّاذر يعتقد في صاحب القبر أنَّه ينفع ويضرُّ، ويجلب الخير ويدفع الشَّرَّ، ويعافي الأليم

---

(١) علَّق الشَّيخ رشيد رضا بقوله: «من الإغراء، أي يحضُّونهم على ذلك ويرغِّبونهم فيه».

(٢) في طبعة المنار: «والاستغاثة بهم عندها ليدفعوا أو يرفعوا عنهم نزول البلاء والشَّدائد..».

(٣) في طبعة المنار: «ويتقرَّبون إليهم...».

(٤) وردت هكذا؛ بين قوسين، في مطبوعة الجريدة: «وهم يأكلونها سُحْتًا حَرَمًا»، بسقوط حرف المدِّ من لفظة «حرما»، والتَّصويب من طبعة «المنار».

(٥) «سبل السَّلام» (ج٤/ ص١١١) بمراجعة وتعليق محمَّد عبد العزيز الخولي.

(٦) رواه البخاري (كتاب الأيمان والنُّذور: باب الوفاء بالنَّذر) (رقم٦٦٩٣ ـ فتح الباري)، ومسلم (كتاب النَّذر: باب النَّهي عن النَّذر؛ وأنَّه لا يرد شيئًا) (رقم١٦٣٩ ـ شرح النَّووي)، وغيرهما.

ويشفي السَّقيم، وهذا هو الَّذي كان يفعله عبَّاد الأوثان بعينه، فيحرم كما يحرم النَّذر على الوثن، [ويحرم قبضه؛ لأنَّه تقرير على الشِّرك](١)، ويجب النَّهي عنه وإبانة أنَّه من أعظم المحرَّمات، وأنَّه الَّذي كان يفعله عبَّاد الأصنام، ولكن طال الأمد حتَّى صار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، [وصارت تعقد اللِّواءات لقبَّاض النُّذور على الأموات، ويجعل للقادمين إلى محلِّ الميِّت الضِّيافات](٢)، «وصار تنحر في أبواب المشاهد النَّحائر من الأنعام»(٣)، «وهذا هو الَّذي بعينه»(٤) كان عليه عبَّاد الأصنام(٥)». ثمَّ أشار إلى رسالته «تطهير الاعتقاد» الَّتي نقلنا منها ما به الحاجة في هذا المقال والَّذي قبله(٦).

**لقد أكثرنا من الأدلَّة النَّقليَّة؛** لأنَّ خصومنا لا يؤمنون إلَّا بالمحسوس، وفي ظنِّي أنَّ هذا يرضيهم ويردُّ عاديتهم، ثمَّ إنَّ فتوتنا في حرمة «زردة» سيدي «مشرك» ـ الَّذي طابق اسمُه معتقَد القوم ـ كان مصدرُها من مجموع هذه الأدلَّة الصَّريحة، وقلنا بحرمة الأكل من ذبيحتها؛ لأنَّها ممَّا أُهِلَّ به لغير الله، قيامًا

(١) يبدو أنَّ الشَّيخ حذفها اختصارًا، أو تكون سقطت سهوًا.

(٢) استدركتها من «سبل السَّلام».

(٣) في «سبل السَّلام»: «وينحر في بابه النَّحائر من الأنعام» / وكأنَّ الشَّيخ بعد حذفه للجمل السَّابقة اختصارًا، تصرَّف في العبارة الَّتي تليها والله أعلم.

(٤) في «سبل السَّلام»: «وهذا هو بعينه الذي...».

(٥) في «سبل السَّلام»: «فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وقد أشبعنا الكلام في هذا في رسالة «تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد».

(٦) قد نقل الشَّيخ مبارك في «رسالة الشِّرك» (ص٢٥٠ ـ ٢٥١) كلام الصَّنعاني هذا، وختم به الكلام في «نذر العوام».

بواجب الحقِّ، أحبَّ القبوريُّون أم كَرِهُوا، بيدَ أنَّا لا نَحْكُم بكفرهم كما حكموا بكُفرنا، بل نحن أعقل من أن نكون سفهاء نرسل الكلام على عواهنه، ولكن ندعوهم بالَّتي هي أحسن، فإن أجابوا فبها ونعمت، وإن أبوا فليكفُّوا عنَّا شرَّهم وليربعوا على أنفسهم، فإنَّا نستحي بأنفسنا عن ردِّ الحَجَرِ مِنْ حيث أتى، ولم يكن ذلك عن وَهَن وخَوَر، ولكن إساءة غفرَها الاقتدار، فليعلم هذا خصومنا، وإن أَبَوا فالعرب بالباب.

**«بلقاسم بن ارواق»**

**الكاتب العام للجنة الدِّعاية**[1].

(١) «البصائر»: العدد (٦٤): ١١ صفر ١٣٥٦هـ/ ٢٣ أبريل ١٩٣٧م/ (ص ٤ ـ ٥ ـ ٦).

## □□□ ملحـق:

**قلَّ وأفاد**

**رسالة من ابن قدُّو ر محمَّد إلى الشَّيخ الرَّابحي**

تحيَّةً وسلامًا، وبعد... أيُّها الأخ! فإنِّي قد قرأت مقالتكم، بل خطبتكم في إحدى الجرائد المحليَّة، وقد أبحتم فيها إقامة الزَّردات في المقابر والمزارات بغير ما استثناء، وقد علمتم ورأيتم أنَّ جميع الزَّردات الَّتي تُقام عندنا في الأضرحة لُحْمتها «البنادر والمزامير» وسَدَاهَا الدِّرهم والدِّينار واختلاط الرِّجال بالنِّساء؛ وهل يصحُّ في الأذهان شيءٌ إذا احتجنا لإقامة البرهان على تحريم هذه الزَّردات؟ بحيث تصير المقابر عبارةً عن مقهى ومطعم ومركز للبيع والشِّراء!

والعاقل تكفيه الإشارة... وجعلتم تقديم الثِّيران والشِّياه وذبحها هناك من باب النَّذر، وهذا أدهى وأمرُّ، أَلَمْ يبلغك ـ أيُّها الأخ! ـ قولَ الإمامِ مالك رضي الله عنه في «المدوَّنة»: «إنَّ سَوْق الهدايا لغير مكَّة بدعةٌ وضلال».

وكفى بهذا القول لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمع وهو شهيد؛ وعليه فلا يجوز لأيٍّ كان أن يذهب ببقرةٍ أو كبشٍ أو ناقةٍ إلى قبر وليٍّ من أولياء الله وينحره هناك، لما فيه من تغيير معالم الشَّريعة المطهَّرة السَّمحة، ولو كان على سبيل النَّذر، حيث أشبه في ذلك هدي الكعبة، كما نصَّ عليه الشَّيخ الدَّردير في «أقرب المسالك» وغيره من الأئمَّة الأعلام.

دعنا من هذا، ولنتكلَّم على النُّذور الَّتي تُقَدَّم إلى الأضرحة في قطرنا وزماننا، لا يخفى عن جنابك المحترم أنَّ جميع الحيوانات الَّتي تُقَدَّم بصفة هدايا أو نذور لأضرحة الأولياء ـ قدَّس الله سرَّهم ـ فيها أمورٌ تسوء من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وكان مفتوح البصر والبصيرة محكِّمًا الدِّين لا الهوى، فمن ذلك أنَّ الثِّيران والشِّياه الَّتي تقدَّم لتلك الأضرحة يطوفون بها في الأزقَّة مزيَّنةً بـ«الحواش» الملونَّة، وأردية الحرير على ظهورها، والمِزْمَرُ يزمِّر عليها، والعامَّة تتبعها حيث ما سرت، كأنَّه ألعوبة «سِرْك عَمَّارْ» باسم زيارة أو زَردة، هل هذا يفعله عاقل، وهل هو من التَّقُّرب إلى الله في شيء؟! سبحان الله! ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، إنَّ هذا ـ والله ـ لُمْزِرٍ وَمُزْرٍ جدًّا بأمَّةٍ تزعم أنَّها تدين بالإسلام الحنيف، وزد على ذلك أنَّ غيرنا يحلِّق فوق رؤوسنا بطيرٍ مثل طير أبابيل، ونحن نقيم الزَّردات فوق القبور بدعوى إطعام الفقراء والمساكين، وكأنَّ الأرض ضاقت بما رحُبت لإطعامهم وإكرامهم إلَّا في محلٍّ تقشعرُّ منه الجلود وتذرفُ فيه العيون دُمُوعًا من جَمْر.

والله ـ يا أخي المحترم! ـ إن حقَّقت النَّظر ورجعت البصر في هذا الأمر لا تجد من يعمل هذه الزَّردات أو الزِّيارات إلَّا من لا يعتدُّ بعلمه ولا برأيه، وعلى كلِّ حال تمعَّن في هذه العجالة وتذكَّر ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

**«البليدة». «ابن قدور محمد».**

# المحتويات

## بين يدي بيان الكاتب العام للجنة الدِّعاية

## نصُّ البيان